بسم الله الرحمن الرحيم

هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ

البصائر

لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا

أسست في أول شوال 1354 هـ الموافق 27 ديسمبر 1935م

الاثنين 19 - 25 رجب 1435 هـ /19 - 25 ماي 2014 العدد: 705 الثمن: 20 دج موقع جريدة البصائر: www.albassair.org / البريد الإلكتروني: info@albassair.org / info.bassair@gmail.com / موقع الجمعية: www.oulama-dz.org

إعلان

تقيم شعبة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لولاية ورقلة ملتقى حول: "المذهب المالكي مسار فقهي لدور حضاري". وذلك يومي الجمعة والسبت 24/23 رجب1435هـ الموافق لـ 23 – 24 ماي 2014م بمقرها الولائي.

الدعوة عامة

إعلان

تنظم إدارة نادي الترقي محاضرة بعنوان: "القضية الفلسطينية: الرهانات والمستجدات"، تقدمها الأستاذة سميرة السقا، وذلك يوم السبت 24 رجب1435هـ الموافق لـ24ماي 2014م على الساعة الثانية والنصف زوالا، بنادي الترقي الكائن بـ 9 شارع ساحة الشهداء- الجزائر.

الدعوة عامة

ذكرى

الإمام محمد البشير الإبراهيمي

تطالعون في هذا الملف

- الشيخان
- الإمام محمد البشير الإبراهيمي كما عرفته
- الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في باكستان
- هكذا احتفت مصر بالشيخ الإبراهيمي
- موقف مالك بن نبي من الجهود الإصلاحية للشيخ الإبراهيمي
- الشباب الجزائري في مخيال الشيخ الابراهيمي
- الإبراهيمي في البحوث الجامعية والمؤلفات الفكرية

11 - 16

على بصيرة

بقلم: الأستاذ الدكتور عبد الرزاق قسوم

رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

في ذاكرة الوطن:

يوم الطالب ويوم الأستاذ

منذ ما يزيد عن ستة عقود من الزمن، أعلن الشباب الجزائري في مثل هذا اليوم من عام 1956م، ثورته على الدراسة والتدريس، فهجر المقاعد ومزق الكراريس، وألقى بالطبشور والكتب في وجه الفرنسيين.

أدرك شبابنا في الثانويات والمؤسسات التعليمية أنّه قد حمى الوطيس، وأنّ ما يُقدَّم له من تدريس هو عدوان على عقله ونوع من التدليس. فضّل شبابنا -يومها- على المقاعد دهاليز القصبة، ودروبها الوعرة، وشناخب جبال جرجرة وأريس، صارخا في وجه المعتدين...

طالع 02

فعاليات الملتقى الوطني الرابع بعين ولمان:

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومرتكزات الهوية الوطنية

17

في ذاكـــــرة الوطن:
يـــوم الطالب ويـــــوم الأستاذ

منذ ما يزيد عن ستة عقود من الزمن، أعلن الشباب الجزائري في مثل هذا اليوم من عام 1956م، ثورته على الدراسة والتدريس، فهجر المقاعد ومزق الكراريس، وألقى بالطبشور والكتب في وجه الفرنسيين.

أدرك شبابنا في الثانويات والمؤسسات التعليمية أنّه قد حمى الوطيس، وأنّ ما يُقدَّم له من تدريس هو عدوان على عقله ونوع من التدليس. فضّل شبابنا -يومها- على المقاعد دهاليز القصبة، ودروبها الوعرة، وشناخب جبال جرجرة وأريس، صارخا في وجه المعتدين بقول صالح خرفي:

دعونا نسكن الغابات إنّا
وجدنا مسكن الغابات أحلى
ومن بِنِزالنا غرّته نفس
تركنا أمه، تبكيه ثكلى

كانت رسالة الشباب الجزائري إلى العالم أجمع فصيحة وصريحة، إنّ رائحة القنابل والبارود أجدى للوطن من رائحة الطبشور والحبر في ظلّ القيود. حمل شبابنا -إذن- مقاليد المصير من أجل التغيير، فقدّم النفس والنفيس مستخدمًا إلى جانب التفجير كل ألوان التعبير.

احتدمت المعركة المصيرية في الجزائر يومها بين الطغاة والأباة، فتغيّر لون المعركة في شناخب الجبال، وتجدّد أسلوب المقاومة في المدن، وتخوم الرمال.

التحمت كلّ فئات الشعب داخل خندق النضال، فعمّ الوعي الوطني كلّ أبناء الجزائر من الشباب، والرجال، وذوات الحجال، فساد في المدن دوّي الانفجارات، وعلت في الجبال والأودية، والسّفوح شعارات التكبير الممزوجة بأزيز الطائرات وأصوات المدافع والرشاشات.

إنّ ملحمة الجزائر، يومذاك، لتمثّل إحدى أساطير المعجزات التي لا تزال إلى يوم الناس هذا مضرب المثل للشعوب السائرة في درب الخلاص، والتوّاقة إلى استعادة السيادة بكلّ أنواع المقاومة بدءً بالرصاص.

وماكان لهذه الرّوح النضالية والإرادة القتالية أن تسود، لولا الدور الذي اضطلع به رسل الوعي الوطني من المعلّمين والوطنيين المخلصين من تحصين الذات ضدّ كلّ ألوان الانهزامية والاستسلامية فالمدارس الفرنسية الحرّة، هي التي كانت البديل لإعداد جنود الفداء، والتحرير، فكان مما يردّده تلاميذها آنذاك من أناشيد، نشيد محمد العيد آل خليفة:

صوت بعيد المدى هل يجاب
بآذاكم للفدا بالرقاب
إلى الفداء إلى الفداء يا شباب

أو قول الشاعر الفلسطيني إبراهيم طوقان:

وطن يباع ويشترى
وتصيح فليحيا الوطن
لو كنت تبغي حقّه
لبذلت من دمك الثمن

أو النشيد الفدائي الذي غيّر النفوس والعقول:

يوم تدعى للجهاد
نصبح الجند الشدا
ونؤدي للبلاد
كلّ حق مخلصين

إنّ مثل هذا المناخ الوطني الذي أحدثته مدارس جمعية العلماء في أوساط الشعب، ولاسيما الشباب هو الذي كان خلف التجنيد والتأييد للثورة الجزائرية، واليوم وأعلام الجزائر خفاقة تذكر بكلّ التقدير والوفاء مناقب المعلّمين والمعلّمات الذين كانوا جسرا لتبليغ الوعي وقدرا لبلوغ السعي.

ويأبى الله إلا أن يلتحم يوم الطالب بيوم الأستاذ صانع الوعي الجماعي، ومجسّد الآمال لمنتهى المساعي. ففي نفس اليوم أي العشرين من شهر مايو 1965م ودعت الجزائر، رمز التعليم والفكر العلاّمة محمد البشير الإبراهيمي، الذي كان فريد زمانه في التبيين والبيان، ووسام النضال الوطني في العمل لتحرير الأوطان. وإنّني لأعجب أن تهتّم الجزائر الرّسمية بيوم الطالب، وهو اهتمام مستحق، وتغفل ذكرى الأستاذ ملهِم الطالب وهو إغفال عديمَ المنطق.

إنّ الجزائر العميقة بثوابتها، ومكوّنات هويّتها لتذكر بكلّ تقدير ووفاء تضحيات الشباب الجزائري بعد هجره لمقاعد الدروس، ولكنّها تُذكِر بأنّه ما كان لهذا الشباب أن يتحلّى بالوعي الوطني المطلوب لولا الإعداد والاستعداد الذي اضطلع علماء من أمثال ابن باديس، والإبراهيمي، والتبسي وغيرهم، من العلماء العاملين الذين رسموا الطريق، وأنقذوا الغريق، وميّزوا بين العدو والصديق.

إنّنا لنذكر كلّ هؤلاء -اليوم- ونحن نحيي ذكرى يوم الطالب الذي يطّل علينا مفعمًا بكلّ معاني التضحية والإباء، والوفاء، ولكنّنا لا ننسى في غمرة هذه الاحتفالات المخلّدة ذكرى الأستاذ الذي كوّن وألهم، ودعا بالمنهج الأسلم، إلى التي هي أقوم. فلولا الأستاذ ما كان الطالب، ولولا جمعية العلماء لكانت الجزائر مثل جزائر الواقواق كما قال الإمام محمد البشير الإبراهيمي.

فليتذكر الأبناء، قصة الوطن الذي خطط لبناء العلماء، وجسّد لتحقيق خطتهم الخلص من الأبناء الأوفياء.

أ.د عبد الرزاق قسوم
رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

البصائر
لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
المدير مسؤول النشر
أ. د. عبد الرزاق قسوم
رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
● رئيس التحرير: أ. د مولود عويمر
● نائب رئيس التحرير: أ. كمال أبو سنة
● سكرتير التحرير: أ. عبد القادر قلاتي
● المدير التقني: أ. مصطفى كروش
التحرير:
الهاتف والفاكس: 021.49.51.19
الإدارة:
الهاتف والفاكس: 021.49.52.67
021.23.33.73
الإشهار: الوكالة الوطنية للنشر والإشهار / 01 شارع باستور - الجزائر.
الطباعة: مطبعة الوسط الجزائر.
رقم الحساب الجاري: 64-2985920
سعر العدد: 20.00دج
الاشتراك النصف السنوي: 500.00دج / الاشتراك السنوي: 1000.00دج
17، شارع محمد مربوش - حسين داي - الجزائر.
التوزيع: الوسط: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: 0550.60.00.38 ★★★ الشرق: KDP 031.92.49.48 ★★★ الغرب: S.D.P.O«0550.57.54.55

الغـارة مستمـرة على قانـــون الأســـــرة

الأسرة هي اللبنة الأساسية في بنية المجتمع، ولذلك أولى الإسلام أهمية بالغة وعناية كبيرة للأسرة ومكوناتها من ناحية التوجيه والتشريع، وحرصت الجزائر باعتبارها بلدا مسلما ينص دستورها على أن الإسلام هو دين الدولة على سن قوانين خاصة بالأسرة،

أ. عبد الحميد عبدوس

وكان قانون الأسرة الصادر في سنة 1984 (1404هـ) إنجاز جزائري للدولة المستقلة لوضع حد للفوضى في قطاع القضاء في مجال الأحوال الشخصية. ولكن هذا القانون اعتبر من طرف التيارات التغريبية والجمعيات النسوية مجحفا في حق الأسرة. وأخذ عليه استناده إلى نصوص الشريعة الإسلامية. ورغم التعديلات الكثيرة والعميقة التي أدخلت على هذا القانون وتعويضه بقانون أسرة جديد تمت المصادقة عليه في مجلس الوزراء سنة 2005 ما زالت ألوية من الجمعيات النسوية ترفع مطالب إعادة النظر في قانون 2005 وتعديله. بل تصل مطالب بعض الجمعيات والحركات النسوية والشخصيات السياسية إلى الدعوة على إلغاء قانون الأسرة بصفة كاملة.

وفي هذا الإطار تعهدت لويزة حنون زعيمة حزب العمال خلال حملتها الانتخابية في رئاسيات 17 أفريل 2014 والتي حلت فيها في المرتبة الرابعة بإلغاء قانون الأسرة في حالة فوزها وتعويضه بقانون مدني يضمن المساواة الفعلية بين الرجل والمرأة في جميع المجالات بما في ذلك نصيبها في الميراث. وقالت إنها تعتمد على اجتهاد رئيس المجلس الإسلامي الأعلى السابق الراحل الدكتور عبد المجيد مزيان.

وكانت للدكتور عبد المجيد مزيان الذي وافته المنية في مطلع عام 2001 آراء غير متقيدة بضوابط وشروط الاجتهاد وكما جددها علماء الأصول ومنها رأيه الذي يقول: «إن الإرث تابع لوضعية اجتماعية واقتصادية. وإذا حدثت المساواة في العمل بين المرأة والرجل. حينذاك يمكن أن ننظر إلى الإرث نظرة جديدة ولكن مطابقة للشريعة الإسلامية».

وكانت آراء الراحل الدكتور عبد المجيد مزيان التي تعتبرها الحركات النسوية آراء عصرية وتقدمية تلاقي تأييدا وإعجابا من طرف التيار الرافض لجعل الشريعة الإسلامية مصدرا للقوانين.

ولا شك أن الدكتور عبد المجيد مزيان كان رجل فكر وسياسة من العلماء البارزين في مجال ترقية الحوار بين الحضارات. ولكنه لم يكن عالم دين بالمفهوم المتعارف عليه أو فقيها يمثل مرجعية في الفتوى كما كان الراحل الشيخ أحمد حماني رئيس المجلس الإسلامي الأعلى الأسبق من سنة 1972 إلى سنة 1988. وكلاهما كان حافظا لكتاب الله تعالى.

وكذلك كان عبد الرحمن ابن خلدون مؤرخا ومؤسسا لعلم الاجتماع. وقاضيا للمالكية في مصر. ولكنه لم يكن مثل معاصره الحافظ ابن كثير في التمكن والبروز والإشهار بالعلوم الشرعية.

ومن الغريب حقا ألا يكون الدكتور عبد المجيد مزيان مطلعا وعارفا بالقاعدة التي تقول «لا اجتهاد مع النص» وقد وردت آيات محكمة المعنى قطعية الدلالة في سورة النساء على أحكام الميراث وتقدير المواريث وتحديد نصيب الذكر والأنثى وطبيعة المستحقين للميراث. وهي من آيات الأحكام ولذلك عندما يقول الدكتور عبد المجيد مزيان إن الإرث تابع لوضعية اقتصادية واجتماعية فإن ذلك يعتبر إرضاء لنصوص القوانين الوضعية والمعاهدات الدولية وليس لروح الشريعة الإسلامية.

لأن عامل المرونة المتوفر في أحكام الشريعة الإسلامية التي تتسم بالقدرة على مسايرة التحولات التاريخية والاجتماعية والاقتصادية لا يعني تخلي المسلم عن الالتزام بنصوص القرآن والسنة أو التعسف في تحميل تلك النصوص والأحكام ما لا تحتمل بداعي الاجتهاد والتجديد.

وفي هذا الإطار ما زلت أتذكر لقائي بالمهندس السوري الدكتور محمد شحرور الذي زرته في بيته الفخم في دمشق في سنة 1997 رفقة كل من الشاعر الأديب عز الدين ميهوبي رئيس المجلس الأعلى للغة العربية والدكتور صالح بلعيد الأستاذ بجامعة تيزي وزو. والإعلامية الأستاذة فتيحة بوروينة رئيسة مكتب صحيفة الرياض بالجزائر.

وكانت شهرة الدكتور محمد شحرور قد تجاوزت القطر السوري وأصبح يقدم على أنه قد ضمن تلك الآراء في مؤلفات أشهرها: (الكتاب والقرآن). (الإسلام والإيمان) (نحو أصول جديدة لفقه إسلامي). وقد أثارت آراؤه الكثير من الجدل والرفض والرد في الأوساط الفكرية والفقهية الإسلامية. يقول الدكتور محمد شحرور في كتابه (الكتاب والقرآن): «لقد بحثنا في فصل الحدود موضوع الإرث. وبينا أن آيات الإرث عبارة عن آيات لا حدودية. ولعدم الالتباس قال بعدها (تلك حدود الله) حيث أعطى الله للأنثى نصف حصة الذكر حد أدنى. وهذا الحد الأدنى في حالة عدم مشاركة المرأة في المسؤولية المالية للأسرة. أما في حالة المشاركة فتنخفض الهوة بين الذكر والأنثى حسب المشاركة وما تفرضه الظروف التاريخية».

وقلت للدكتور محمد شحرور: «كيف يمكنك القول بأن حصة الأنثى في الإرث يمكن أن تساوي حصة الذكر. مع أن آية الإرث واضحة لقول الله تعالى: {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ} (النساء:11).

فقال: «توصلت إلى علم مواريث جديد من خلال تفسير عصري للقرآن وبتطبيق نظريات ا لجمو عا ت و ا لتحليل ا لر يا ضي على آيات المواريث» وبدأ يشرح لي على الورق طريقته الحسابية التي أوصلته إلى إيجاد قيمة متساوية في الإرث بين الذكور. وقلت له: «بأنني لست متخصصا في الرياضيات ولكني أعرف أن السنة النبوية هي أفضل شارح ومبين للنصوص القرآنية وإذا كانت عملية التوريث قد تمت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم بالطريقة التي يفهمها جمهور الفقهاء وعموم المسلمين ولم ينكر ذلك. فمعنى هذا أن آيات الإرث لا تحتاج إلى اجتهاد أو تفسير جديد».

فرد علي بما معناه أنه لا يعطي اعتبارا للسنة النبوية ولا للحديث النبوي. لأن السنة النبوية هي إجراءات تنظيمية قام النبي كقائد للدولة في عصره. وأن مفاتيح فهم القرآن الكريم موجود داخله. وليست متأتية من خارجه.

هذا الحديث جعلني مقتنعا بأن الاجتهاد أو التجديد الذي لا ينضبط بنصوص القرآن والسنة المصدرين الأساسيين لفهم الإسلام يصبح مجرد لغو وافتراضات ظنية يحكمها الهوى.

ولهذا تنقسم اتجاهات الحركات النسوية التغريبية إزاء قانون الأسرة والاستناد إلى نصوص الشريعة فيه من الدعوة إلى إلغائه لأنه يعتبر منظومة قديمة ورجعية وغير عادلة وبين المطالبة بتحكيم اجتهادات مضللة وغير منضبطة بشروط الاجتهاد الحقيقية. وعندما تنتشر مصطلحات مثل تقديم منح للأمهات العازبات وإنشاء صندوق للمطلقات. فإن ذلك يعتبر مؤشرا على إمكانية اللجوء إلى إفراغ قانون الأسرة من أحكام الشريعة الإسلامية!

الشيـــخ الإبراهيمي وثـــورة التحريـــر

أ. عبد القادر قلاتي

عندما وصل العلاّمة محمد البشير الإبراهيمي إلى القاهرة -قبلة الحركات الإصلاحية والوطنية، وملتقى صفوة العلماء والمفكرين من العرب والعجم- في مارس من عام 1952م، كانت سمعته العلمية والسياسية قد سبقته عن طريق جرائد الجمعية وعن طريق الطلاب الذين التحقوا بالمعاهد العلمية، كما كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ملء السمع والبصر -كما يقال- في العالم الإسلامي، فحركات الإصلاح وفي مقدمهم حركة الإخوان المسلمين في مصر، والجماعة الإسلامية في باكستان، كانت تنظر إلى الشيخ وإلى الجزائر وجمعيتها الرائدة، نظرة إجلال وتقدير واحترام.

فبمجرد وصول الشيخ إلى القاهرة، كانت دعوات المشاركة في إلقاء المحاضرات والندوات العلمية، والاستقبال الذي يليق بالشيخ وبمكانته السامقة عند أهل العلم والفكر والسياسة، فكانت محاضراته وخطبه تأخذ بالألباب، وتدفع العالم قبل المتعلم بالإعجاب، فهو لعمريَ آية من آيات الله الباهرة.فقد كان الشيخ أينما حلّ ترك أثراً بالغاً في مستمعيه، وصورة مشرقة لنموذج العالم العامل، والمصلح المتفاني في خدمة قضيته المركزية، وهي قضية الأمة بمجموعها قبل قضية بلاده التي أهلكها الاستعمار الغربي الحاقد، وكاد يقضي على هويتها وانتمائها الحضاري، لو لا أنّ الله -سبحانه وتعالى- قيّظ لها نموذج خالدة من طراز الإبراهيمي، وابن باديس، والعقبي، والتبسي وغيرهم من علماء الجمعية الذين وهبوا حياتهم للجزائر والإسلام والعربية.

لم يكن خروج الشيخ من الجزائر هروباً من معركة بلاده مع المشروع الاستعماري الغربي وهو أحد الذين نازلوا فيها طويلاً، وكانوا من صناعها، بل كانت رحلات الشيخ استكمالاً لتحقيق النّصر في هذه المعركة، وتمكيناً لأبناء الجزائر من تحقيق الكفاية العلمية والمقدرة السياسية، لإدارة بلادهم بعد تحقيق الاستقلال التّام عن الكيان الاستعماري الغاشم. نعم لقد كانت جمعية العلماء المسلمين ترسم الخطى بدراية تامة نحو استقلال الجزائر، فكان خروج الشيخ إلى البلاد العربية والإسلامية، تجسيداً واضحاً لهذا الهدف الكبير، ففي مقال الشيخ الشهير «تحية غائب كالآيب» تصوير رائع لمهمته التي خرج من أجلها، وإيضاح لا يحتاج إلى دليل يقول الشيخ مخاطباً وطنه الجريح: «..وأما فراقك فشدة يعقبها الفرج...فلا يهولنّك فراغك مني أياماً، فعسى أن يكون المسك ختاماً، وعسى أن تسعد بآثار غيبتي أعواماً»، وقد تتضح الصورة أكثر، عندما نتابع نشاطات الشيخ ولقاءاته مع رجالات السياسة والنّضال التحرري، في أغلب البلاد التي قدّر للشيخ أن يزورها، في مصر وباكستان والعراق والكويت، ودمشق وعمّان والحجاز.

لم تكن مهمة الشيخ البشير الإبراهيمي، مهمة فردية اقتضاها وضعه كإمام وداعية وسياسي، بل كانت كلّ جهوده تصب في خطة رسمتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، لتحرير الجزائر، فكان الشيخ يسير وفق هذه الخطة، وقد أدّى هذه الوظيفة باقتدار منقطع النّظير، فبالرغم من سنّ الشيخ إلاّ أنّه كان لا يتوقف من سفر إلاّ ويواصل آخر، فقد عرفته منتديات مصر، ومقرات أحزابها، كما عرفته السفارات المعتمدة فيها، كلّ ذلك والشيخ يحمل قضية بلاده وأمته، وينافح عنها بما منحه الله سبحانه وتعالى من مواهب قلّما تجتمع في فرد، ولم تكن قضية الجزائر وحدها من يشغل بال الشيخ، بل كلّ قضايا الأمة، فنراه يعبر عن هذه الحالة في مقاله «في الموصل» قائلاً: «إنّ السبب الأكبر لرحلتي هذه بعد الدراسة والتعارف هو السعي في إحياء الجامعة الإسلامية التي هي خير ما يجتمع عليه الشرق وأمه ومللله».

وعندما قامت ثورة التحرير كان الشيخ أول من احتضنها وأيدها من زعماء الحركة الوطنية، ذلك أنّ الشيخ كان قد تنبّأ بهذه الثورة بعد أحداث الثامن من ماي عام 1945م عندما قال: «إنّها فورة ستعقبها ثورة»، وقال في خطاب ألقاه في باريس بمناسبة نيل ليبيا الاستقلال عام 1951: «إنّ الجزائر ستقوم قريباً بما يدهشكم من تضحيات وبطولات في سبيل نيل استقلالها، وإبراز شخصيتها العربيّة الإسلاميّة» نقله ممّثل العراق لدى الأمم المتّحدة، وقال في خطاب -أيضاً- أمام الوفود العربية عام 1952 بباريس: «وإنّ بعد اللّسان لخطيباً صامتاً هو السّنان، وإنّنا لرجال وإنّنا لأبناء رجال وإنّنا لأحفاد رجال .. وإنّ فينا لقطرات من دماء أولئك الجدود، وإنّ فينا لبقايا مدّخرة سيجلّيها الله إلى حين».

في يوم 2 نوفمبر أصدر الشيخان الإبراهيمي والفضيل الورتيلاني بالقاهرة بياناً بعنوان: «مبادئ الثورة في الجزائر» نشر في الصحافة المصرية، جاء فيه:

«ثمّ قرأنا اليوم في الجرائد بعضَ تفصيل ما أجملته الإذاعات، فخفقت القلوب لذكرى الجهاد الّذي لو قُسِّمت فرائضه لكان للجزائر منه حظّان بالفرض والتّعصيب، واهتزّت النّفوس طرباً لهذه البداية الّتي سيكون لها ما بعدها، ثمّ طرقنا الأسى لأن تكون تلك الشجاعة الّتي هي مضرب المثل لا يظاهرها سلاح، وتلك الجموع الّتي هي روق الأمل لا يقودها سلاح، إنّ اللّحن الّذي يشجي الجزائري هو قعقعة الحديد في معمعة الوغى، وإنّ الرائحة الّتي تعطر مشامه هي رائحة هذه المادّة الّتي يسمّنونها البارود».

ثم صدر بيان آخر عنهما يوم 3 نوفمبر بعنوانه: «إلى الثائرين الأبطال من أبناء الجزائر اليوم حياة أو موت، بقاء أو فناء» جاء في مطلعه:

«حيّاكم الله أيّها الثّائرون الأبطال، وبارك جهادكم وأمدّكم بنصره وتوفيقه، وكتب ميّتكم في الشّهداء الأبرار، وحيّكم في عباده الأحرار.

لقد أثبتّم بثورتكم المقدّسة عدّة حقائق: الأولى أنّكم سفّهتم دعوى فرنسا المفترية الّتي تزعم أنّ الجزائر راضية مطمئنّة، فأريتمُوها أنّ الرّضا بالاستعمار كفر، وأنّ الاطمئنان لحكمها ذلّ، وأنّ الثورة على ظلمها فرض ...».

وجاء في آخره: «اعلموا أنّ الجهاد للخلاص من هذا الاستعباد قد أصبح اليومَ واجباً عامّاً مقدّساً فرضه عليكم دينُكم، وفرضته عليكم قوميّتكم، وفرضته رجولتُكم، وفرضه ظلم الاستعمار الغاشم الّذي شملكم، ثمّ فرضته أخيرا مصلحة بقائكم؛ لأنّكم اليوم أمام أمرين: إمّا حياة أو موت، إمّا بقاء كريم، أو فناء شريف».

وفي 15 نوفمبر صدر بيان آخر عنهما عنوانه: «نداء إلى الشّعب الجزائري المجاهد نعيذكم بالله أن تتراجعوا» وجاء:

«حيّاكم الله وأحياكم، وأحيا بكم الجزائر، وجعل منكم نوراً يمشي من بين يديها ومن خلفها، هذا هو الصّوت الّذي يُسمع الآذان الصمّ، هذا هو الدّواء الّذي يفتح الأعين المغمّضة، هذه هي اللّغة الّتي تنفذ معانيها إلى الأذهان البليدة، وهذا هو المنطلق الّذي يقوّم القلوب الغلف، وهذا هو الشعاع الّذي يخترق الحجب والأوهام».

وجاء فيه: «إنّكم كتبتم البسملة بالدّماء في صفحة الجهاد الطّويلة العريضة، فاملؤوها بآيات البطولة الّتي هي شعاركم في التّاريخ، وهي إرث العروبة والإسلام فيكم ...

أيّها الإخوة الأحرار، هلّموا إلى الكفاح المسلّح، إنّنا كلّما ذكرنا ما فعلت فرنسا بالدّين الإسلامي في الجزائر، وذكرنا فظائعها في معاملة المسلمين - لا لشيء إلاّ لأنّهم مسلمون -، كلّما ذكرنا ذلك احتقرنا أنفسنا واحتقرنا المسلمين وخجلنا من الله أن يرانا ويراهم مقصّرين في الجهاد لإعلاء كلمته، وكلّما استعرضنا الواجبات وجدنا أوجبها وألزمها في أعناقنا إنّما هو الكفاح المسلّح..»

هذه بعض من صور الجهاد والنّضال الذي قاده الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تظهر لكلّ ذي بصيرة الدور الخالد الذي ينكره كلّ من طمس الله بصيرته، وجحد وأنكر معلوماً من الحقيقة والتاريخ بالضرورة، وزوّر وكتب إرضاء لفرنسا ولمشروعها الخبيث، الذي لولا الإبراهيمي وأصحابه من علماء الجزائر لما اندحر على عتبات هذه الأرض الأصلية التي علمنا الإبراهيمي وابن باديس كيف نحييها، وكيف نحيا فيها.

guellatiabdelkader@gmail.com

التركي يدعو ظريف إلى زيارة الرياض للتفاوض

السعودية وإيران.. مؤشراتُ مصالحة تاريخية

أ. حسين لقـــرع

شكّلت دعوة وزير الخارجية السعودي تركي الفيصل نظيره الإيراني ظريف جواد إلى زيارة الرياض قصد «التفاوض» حول مجموعة من القضايا التي تشكل محور خلاف مزمن بين البلدين منذ سنوات طويلة، مفاجأة من العيار الثقيل لكل المتتبعين لشؤون المنطقة؛ إذ كان مستبعداً حدوث أيّ تقارب بين إيران والسعودية في ظل تراكم الخلافات بينهما، ووصولهما إلى حدّ قيام «حروب بالوكالة» بينهما في سوريا واليمن والعراق ولبنان ومناطق أخرى. وتفتح هذه الدعوة آفاقاً واسعة لاذابة جبل الجليد بين البلدين وإيجاد نقاط توافق تمهّد لحل صراعات عديدة في المنطقة وفي مقدّمتها جميعاً الأزمة السورية.

لم يكن أحدٌ من المتتبعين يتوقع أن يوجّه تركي الفيصل دعوة لنظيره الإيراني لزيارة السعودية و«التفاوض» حول عدد من القضايا محل الخلاف بين البلدين، لغياب أي مؤشر يدلّ على حدوث أيّ شكل من أشكال التقارب في المدة الأخيرة، بل بالعكس، لوحظ أن هوة الخلافات بين البلدين قد توسعت أكثر من ذي قبل، ولاسيما بعد فشل مؤتمر «جنيف 2» في إيجاد تسوية سلمية للأزمة السورية منذ أشهر، وبذل السعودية جهودا مضنية لاقناع الأمريكيين بمنح صواريخ «مان باد» المتطورة المضادة للطائرات للمعارضة السورية المسلحة قصد استعادة التوازن على الأرض مع الجيش السوري بعد خسارة المعارضة العديد من المدن والمناطق الإستراتيجية آخرها حمص؛ ثالث مدينة من حيث الأهمية في سوريا، فضلاً عن بروز أنباء كثيرة عن لقاءات بين مسؤولين في المخابرات السعودية ومسؤولين صهاينة لاقناع الكيان الصهيوني بالحلول محلّ الولايات المتحدة الأمريكية وتوجيه ضربة عسكرية للمنشآت النووية الإيرانية وتدميرها، ويُضاف إلى ذلك اتساع رقعة الخلاف بين سُنة الأنبار والمالكي وتطوّرها إلى مواجهات مسلحة ضارية، واتهام الحكومة العراقية المقربة من إيران، السعودية بدعم «داعش».

وكان المسؤولون الإيرانيون، وفي مقدمتهم الرئيس روحاني ووزير الخارجية جواد ظريف، قد أعربوا مراراً في الأشهر الأخيرة عن استعدادهم إلى غاية يوم الثلاثاء 13 ماي الماضي، حيث فاجأ تركي الفيصل الجميعَ، وفي مقدّمتهم القادة الإيرانيين أنفسهم دون شك، بدعوة ظريف إلى زيارة السعودية و«التفاوض» حول مختلف القضايا التي سبّبت خلافاتٍ عميقة بين البلدين سنوات طويلة.

ويُرتقب أن يصل وزير الخارجية الإيراني في الأيام القادمة إلى الرياض في جلسة لإذابة الجليد بين الطرفين، والتمهيد لزيارة روحاني لاحقاً ومقابلة الملك السعودي، لكن بضع جلسات حوار أو «تفاوض» ليست كافية لحلّ الخلافات العميقة المتراكمة بين البلدين؛ فالسعودية تتهم إيران بدعم الحوثيين في اليمن، والوقوف وراء الثورة الشيعية في البحرين، والحؤول دون سقوط بشار الأسد في سوريا برغم ضراوة الثورة المسلحة ضده، ودعم المالكي في العراق، والسعي إلى نشر المذهب الشيعي في مختلف الدول العربية والإسلامية السنية للتغلغل فيها لاحقاً، كما تتهمها بأن برنامجها النووي موجّه ضدها وضد كل السُّنة... في حين تتهم إيران السعودية بممارسة التحريض الطائفي واستعداء مئات الملايين السُّنة ضدها، واستجلاب العدوان الأمريكي والغربي على برنامجها النووي الطموح دون وجه حق، وإثارة مخاوف غير مبرّرة ضده في نفوس الخليجيين والمسلمين السنّة، وبمعاداة الشيعة حيثما كانوا، وبرفض منح التسوية السلمية في سوريا أي فرصة للنجاح والعمل على إجهاضها في كل مرة من خلال مواصلة تزويد تنظيمات متطرفة بالمزيد من الأسلحة، وبقمع الثورة البحرينية من خلال قوات «درع الجزيرة» التي يشكّل الجنودُ السعوديون أغلبها...

ولذلك تحتاج كل هذه القضايا وغيرها إلى جلسات حوار مطولة بين المسؤولين السعوديين والإيرانيين على مختلف المستويات، ولا مناص من إسناد المهمّة إلى مجموعتي ديبلوماسيين رفيعي المستوى من الجانبين، لاجراء جلسات حوار ماراطونية لتذليل مختلف العقبات وإيجاد نقاط توافق حول مختلف المسائل، تماماً مثلما حدث في المفاوضات الإيرانية-الغربية التي دامت سنوات، لكنها كُللت في الأخير بنجاح غير منتظر.

وما دام الحوارُ بين إيران والغرب قد كُلل بالنجاح، فلن يكون مقبولاً أبداً أن تنتهي جلساتُ الحوار أو «المفاوضات» المرتقبة بين إيران والسعودية، إلى الفشل، إلا إذا كان أحدُ الطرفين غير جدي في التفاوض أو متصلباً ولا يرغب في التوصل إلى تسوية قائمة على تنازلات متبادلة.

إيران والسعودية بلدان مسلمان كبيران، تعرّضت العلاقة بينهما إلى الكثير من التشنّج والعداوة والبغضاء والصراع دون ضرورة، ولم يستفد من ذلك إلا الكيانُ الصهيوني والغرب، وحان الوقتُ الآن، لينتهي كل ذلك وتُفتح صفحةٍ جديدة بين البلدين اللذين يشكّلان ثقلاً كبيراً في العالم الإسلامي بتزعّمهما الطائفتين السنية والشيعية.

وما دام الطرفان قد قرّرا حل خلافاتهما بالحوار والتفاوض بعد طول صراع وعداوة و«حروب بالوكالة» وحروب إعلامية ضارية.. فإنه لا يمكن إلا تثمين هذه الخطوة والتفاؤل بأن تحقق مصالحة تاريخية بين البلدين، ونعتقد أن حل الخلافات العالقة بينهما وإيجاد نقاط توافق وحلول للمسائل الخلافية سيعود عليهما وعلى المنطقة وعلى العالم الإسلامي كلّه بالخير والفائدة، فسيمكّن أي اتفاق بينهما من حل الأزمة السورية سلمياً، وإيجاد حلول سلمية لبؤر التوتر الأخرى في لبنان واليمن والبحرين والعراق وغيرها من المناطق التي تتعرّض لخلافات طائفية تهدّد وحدتها في الصميم.

hocinel55@yahoo.fr

القضيـة الفلسطينيـة

ستة وستون عاما في عمر النكبة

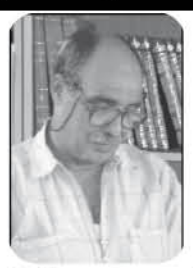

أ. محمد الحسن أكيلال

في فيفري 1985 كنت في مهمة في بيروت، أتيحت لي فرصة زيارة أطلال مخيمي «صبرا وشتيلا» الذين دمرتهما الدبابات الإسرائيلية أثناء غزو لبنان في عام 1982، وما لفت انتباهي في بعض بقايا جدران تلك الأطلال رسوم مفاتيح الأبواب التي رسمها الفلسطينيون لتذكرهم وتذكر أبناءهم وأحفادهم بأن لهم في فلسطين بيوت أرغموا على تركها في عام 1948، وأنهم متعلقون بأمل الرجوع إليها ذات يوم، وخاصة وأن قرار مجلس الأمن الدولي رقم 194 يتضمن هذا الحق.

في هذه السنة وكل السنوات العجاف الماضية أقام الفلسطينيون في الشتات وفي الضفة الغربية وقطاع غزة تظاهرات لإحياء ذلك اليوم المشؤوم، ولكنهم في هذه السنة ميزوا هذا اليوم بإضفاء ألوان الأمل في استعادة الحق المغتصب، وخاصة وأن أكبر عقدة عمقت مأساتهم هي تلك التي شتتت صفوفهم وفرقت شملهم في الوقت الذي يواجهون في المفاوضات عدوا موحدّا قويا بكل شيء، قويا بقوته العسكرية وأجهزة مخابراته وعلاقاته المتميزة جدّا بالولايات المتحدة الأمريكية الوسيطة الراعية ظاهريا والمدعمة والمنحازة باطنيا إلى أن انكشفت كل أوراقها في هذه المرّة بعد تسعة أشهر من التفاوض اللامجدي ليخرج على العالم وزير الخارجية الأمريكي ثم مبعوثه «مارتن أندك» بالتصريح بكل مرارة ناصحا لحكومة الكيان الصهيوني بالبحث عن أي سبيل يبعدهم عن الطريق الحالي الذي سيوصلهم إلى العزلة والعقوبات الدولية على غرار نظام «الأبارتيد» في جنوب إفريقيا.

لا شك أن الألوان الفاقعة وإن كانت هي ألوان العلم الفلسطيني وألوان ألوية الفصائل والمنظمات الفلسطينية الداعية إلى المقاومة، إلاّ أنها أعطت التظاهرات إيحاء بشكل من أشكال التفاؤل بعد أن فشلت المفاوضات وصرحت «غوندليزا رايس» بأن على الإسرائيليين أن يفوا بالتزامهم بإطلاق سراح الـــ 104 أسيرا فلسطينيا ويوقفوا بناء المزيد من المستوطنات إذا أرادوا فعلا إنجاح المفاوضات التي لا بد أن تستأنف في أقرب وقت لأنها الحلّ الوحيد للنزاع الفلسطيني الإسرائيلي.

ستة وستون عاماً مضت عل نكبة فلسطين، لقد كانت النكبة الحلقة الأولى في سلسلة النكبات الكثيرة ابتداء من عام 1948 إلى نكسة حرب جوان 1967 التي ضاعفت عدد المهجرين واحتلت أراضي فلسطين بقوة الحديد والنار، مرورا بسبتمبر الأسود عام 1968 حيث طردوا من الأردن لكن هذه المرّة بواسطة قوات المملكة الأردنية الهاشمية، ثم غزو لبنان حيث تعاونت القوات الصهيونية مع القوات الشقيقة السورية والكتائب اللبنانية في ارتكاب مجازر جماعية في مخيمات «تل الزعتر ومية مية وصبرا وشتيلا» وبعد ذلك فرضت على قوات منظمة التحرير الفلسطينية الخروج من بيروت إلى اليمن وتونس والجزائر، ثم تأتي كارثة الكوارث باتفاق «أوسلو» الذي تستغله الإدارتان الصهيونية والأمريكية كغطاء وجزرة لترسيم الاحتلال في الضفة الغربية بناء المستوطنات والجدار العازل وهدم المنازل وطرد أهاليها للعراء وتهويد القدس الشريف وعزل وحصار قطاع غزة ثم تدميره وقتل الآلاف من أبناءه والعرب الذين اقترحوا مبادرة السلام كخيار استراتيجي التي ردت عليها إسرائيل في نفس اليوم بمنع الراحل «عرفات» من المشاركة في مؤتمر القمة في بيروت وحصاره في مقرّه في رام الله ودك أسواره ثم تدبير عملية اغتياله.

هذه السلسلة من النكبات كلّها تنتهي الآن بحقائق دامغة وكشف عورات كلّ من الولايات المتحدة الأمريكية والدول العربية باستثناء الجزائر التي دفعت قسطها المالي للسلطة الفلسطينية في الشهر الحالي. أما البقية فمازالت تتردد وتتملص وكأنها تريد أن تضغط هي بدورها على الشعب الفلسطيني وسلطته لقبول الشروط الإسرائيلية في المفاوضات، التي هي في الحقيقة استسلام للإرادة الصهيونية وقبول بالأمر الواقع القاضي بقبول منح فلسطين لليهود وطرد شعبها إلى المنافي في الشتات.

أهم حدث بهيج في تاريخ الشعب الفلسطيني هوفشل المفاوضات والمصالحة بين فتح وحماس وإعادة بناء منظمة التحرير الفلسطينية واستئناف الاتصال بالأمم المتحدة لطلب حقوقها الشرعية كدولة محتلة، هذا المسار هو المسار الوحيد الذي سيساعد الفلسطينيين على إيجاد الدرب الوحيد والحقيقي الموصل إلى تحقيق هدفه في التحرر والاستقلال والسيادة فوق أرضه وعاصمتها القدس.

هذا الدرب الوحيد والحقيقي الذي يبعد الشعب الفلسطيني عن متاهة «أوسلو» التي أضاعت الكثير من الوقت ومن الجهود ومن الدماء والأرواح ومن الأراضي والمنازل الفلسطينية.

ولإسرائيل الآن أن تبحث أولا تبحث عن المخرج لأنها أرادت أن تأخذ ما ليس لها بالقوة، وعليها أن تتقبل الثمن الذي سيكلفها لا شك العودة إلى حيث كانت في سجلات الحركة الصهيونية.

hacen03@live.com

منظمة الصحة العالمية :
الخمور تقتل 6 أشخاص كل دقيقة

نشرت منظمة الصحة العالمية تقريرا على موقعها الرسمي أظهر المخاطر الكبيرة التي يتعرض لها متناولو الخمور.

وذكر التقرير أن الخمور ـ التي حرمها الإسلام بشكل قطعي منذ أكثر من 1400 عام ـ تقتل 6 أشخاص كل دقيقة.

وأشار التقرير إلى أن عدد من يواظب على تناول الخمور من سكان العالم البالغ عددهم 7 مليارات تقريبا هم 16% تقريباً، أي أكثر من مليار و150 مليونا.

وأوضح التقرير أن الخمور تقتلالرجال أكثر من النساء، فنسبة قتلاهم هي 7.6% من 3 ملايين و300 ألف ضحية، فيما النسبة هي 4% للنساء.

وقال التقرير،أن الخمور تقتل أكثر ممن يقتلهم الإيدز والسل وأعمال العنف مجتمعة، والرقم مرشح للارتفاع بتزايد عدد سكان العالم.

وأفاد التقرير بأن مسببات وفاة المعاقرين للخمور، يأتي في مقدمتها حوادث السير وأمراض القلب والسكري وتليف الكبد وبعض أنواع السرطانات، إضافة إلى 200 علة، بينها نفساني، مرتبطة بالمعاقرة على أنواعها.

وذكر التقرير أن أكثر الدول استهلاكا للخمور هي بيلاروسيا في المقدمة باستهلاك الفرد فيها لكمية 17.5 ليتر، تلتها مولدوفا (16.8) ثم ليتوانيا (15.4) والرابعة هي روسيا 15.1 ليترا.

مجلس الأمن يبحث مسودة قرار بإحالة ملف سوريا للجنائية الدولية

قالت مصادر دبلومسية إن من المقرر أن يجتمع مجلس الأمن الدولي، لبحث مسودة قرار تقدمت به فرنسا لإحالة ملف سوريا للمحكمة الجنائية الدولية، وربما يتم التصويت عليه خلال أيام.

وكانت فرنسا وزعت مسودة قرار لمجلس الأمن يوم الاثنين الماضي يسعى لإحالة الحرب المستمرة منذ ثلاثة أعوام في سوريا إلى المحكمة الجنائية الدولية لاحتمال نظر اتهامات بارتكاب جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية.

وتشير مسودة القرار تحديدا إلى أن الوضع الذي سيحال للمحكمة هو «انتهاكات متفشية لحقوق الإنسان والقانون الإنساني الدولي من جانب السلطات السورية والميليشيا المؤيدة للحكومة وأيضا انتهاكات حقوق الإنسان والقانون الإنساني الدولي التي ارتكبتها جماعات مسلحة غير حكومية في سياق الصراع الدائر في الجمهورية العربية السورية منذ مارس آذار 2011» .

وأوضحت المصادر أن الولايات المتحدة وافقت على تأييد المسودة الفرنسية بعد ضمان حماية الكيان الصهيوني من أي مساءلة في المحكمة الجنائية الدولية متصلة باحتلالها لمرتفعات الجولان السورية، وفقا لوكالة رويترز.

محكمة إيطالية تغرم فتيات لعدم احترامهن القيم الإسلامية أمام سياح عرب

فرضت محكمة إيطالية غرامة قدرها 10500 دولار أمريكي على 3 مواطنات، أي 3500 دولار على كل منهن، بسبب ارتدائهن مايوهات

البكيني، ما أدى إلى إحراج رجال سعوديين.

وأفادت مواقع إيطالية بأن قرار المحكمة جاء انطلاقاً من أن ارتداء البكيني أمام الرجال السعوديين «جريمة يعاقب عليها القانون الإيطالي، كونه يسبب الخجل لبعض السياح وتعدياً على مشاعر بعضهم، لاسيما الخليجيين والعرب عموماً.

كما نوهت المحكمة في قرارها بأنه ينبغي على الإيطاليين من الآن فصاعداً «احترام الأخلاق التي ينص عليها الدين الإسلامي، وعدم الاعتداء على الآخرين، وفقاً للمادة 527 من قانون العقوبات الإيطالي».

وبحسب موقع «سبق» فإن الإيطاليات الثلاث ارتكبن هذه الجريمة على شاطئ معد خصيصا للسياح العرب حسب موقع «سبق».

وكالات

2500 مسلم أويغوري يقبعون بسجون ماليزيا وفيتنام وتايلاند

كشف «رجب سعد الدين آقيول» رئيس جمعية لاجئي تركستان الشرقية في تركيا، عن أن حوالي 2500 تركي أيغوري مسلم، يقبعون في سجون ماليزيا وفيتنام وتايلاند، التي لجأوا إليها هرباً من تصاعد أعمال القمع الذي تمارسه السلطات الصينية على المسلمين في تركستان الشرقية.

ونقلت وكالة أنباء الأناضول عن أقبول: «تركيا احتضنت اللاجئين الأيغور، ولم تقم يوماً بإعادة أيّ منهم إلى الصين»، لافتاً إلى «المعاناة التي تواجه الأيغور في طريق لجوئهم إلى تركيا وغيرها من البلدان».

كما لفت «آقيول» إلى خطر التذويب العرقي الذي يواجه مسلمي تركستان الشرقية، حيث تقوم السلطات الصينية بالتضييق عليهم ومنعهم من أداء واجباتهم الدينية، لدفعهم إلى الهجرة عن بلادهم، مشيراً أن «كل ما يريده أتراك تركستان الشرقية، هو حياة حرة كريمة لبلادهم، وأن القوانين الدولية ضمنت للشعب الأيغوري في تركستان الشرقية، حق المطالبة بتقرير المصير».

وكالات

هيئـــة علماء العـــراق :
الفلوجـــة تتعرض لمذبحـــة على أيدي قـــوات المالكي

مدينة (الفلوجة)، إذ استخدمت قواته ضدها كل الأسلحة الفتاكة المتوفرة لديه، وفي مقدمتها البراميل المتفجرة التي تلقيها الطائرات المروحية على منازل المدنيين، ثم شنت هجومًا واسع النطاق على مداخل المدينة؛ في محاولة يائسة لاقتحامها بعد أن فرضت عليها حصارًا ظالمًا وقصفًا مدفعيًا منذ خمسة أشهر تقريبًا.

وأوضح البيان أنّ نتائج هذه العملية بلغت حتى الآن (321) قتيلاً و(1342) جريحًا، حسب المتحدث باسم مستشفى الفلوجة العام، فضلاً عن الأضرار المادية الفادحة التي لحقت بالمؤسسات المدنية والخدمية ومنازل المواطنين وممتلكاتهم.

وخلصت هيئة علماء المسلمين إلى القول: إن هذه الحملة العسكرية النكراء ترتكب وسط معارك ونزاعات بين الكتل السياسية من أجل الحصول على مكاسب ومناصب لا تسمن ولا تغني من جوع، بينما تحصد آلة القتل والدم أرواح العراقيين الأبرياء.. مجددة إدانتها لهذه المذبحة الشنيعة والعمل الإجرامي الجبان، الذي يكشف للعالم أجمع قبح حكومة المالكي وشناعتها وإجرامها وطائفيتها التي فاقت كل الحدود والتصورات.

وفيما أكّدت الهيئة أن هذه الجرائم ستكون نهايتها وبيلة على مرتكبيها ولن يجنوا منها إلا الخزي والعار؛ أعربت عن ثقتها بأن الشعب العراقي لن ينسى ذلك مهما طال الزمن، وسيحاسب كل مشارك فيها، كما أنه لن ينسى كل راض عنها أو ساكت عليها أفرادًا كانوا أو جماعات.

دعت هيئة علماء المسلمين في العراق أبناء المحافظات العراقية كافة إلى أن تكون لهم وقفة شجاعة؛ لنصرة المظلومين وإغاثة الملهوفين من أبناء مدينة (الفلوجة) التي تتعرض لمذبحة شنيعة من قبل حكومة المالكي في حملته العسكرية التي استورد لها اسم «تصفية الحساب».

وأكدت الهيئة في بيان لها؛ إن نوري المالكي بدأ حملته العسكرية الجديدة على المحافظات المنتفضة؛ باسم مستنسخ من حملة صهيونية استهدفت لبنان في تموز عام 1993 اسماها «تصفية الحساب» .. موضحة أن هذه الحملة تركزت بثقلها الأكبر على

وكالات

«تحالف سيليكا» بأفريقيا الوسطى يعيد تنظيم صفوفه للدفاع عن المسلمين

أعلن متحدث باسم «تحالف سيليكا» في جمهورية إفريقيا الوسطى أن الجماعة عينت قائداً عسكرياً جديداً وتعتزم إعادة تنظيم صفوف مقاتليها.

وأضاف المتحدث «نريد تأمين منطقتنا وحماية الناس في المناطق الثماني التي نسيطر عليها».

وأجبر زعماء سيليكا ـ وهي جماعة معظمها من المسلمين ـ على الاستقالة من الحكومة في ظل ضغوط دولية في يناير الماضي لكن ميليشيا أنتي بلاكا «المسيحية» كثفت هجماتها ضد المسلمين منذ ذلك الوقت.

وفر مئات من زعماء سيليكا وآلاف المدنيين المسلمين من العاصمة بانجي والمناطق الجنوبية صوب الشمال والدول المجاورة.

من جهة أخرى، فرض مجلس الأمن الدولي عقوبات على ثلاثة مسؤولين في إفريقيا الوسطى، هم الرئيس السابق فرنسوا بوزيزيه، وزعيم ميليشيات «إنتي-بالاكا» «المسيحية» ليفي ياكيتيه، والرجل الثاني في تحالف سيليكا سابقاً نور الدين آدم.

وهذه العقوبات المحددة الأهداف التي فرضت بموجب قرار مجلس الأمن الصادر في 28 يناير اقترحتها فرنسا والولايات المتحدة، وهي تنص على تجميد أموال هؤلاء الرجال الثلاثة ومنعهم من السفر.

وصدر قرار فرض العقوبات عن لجنة العقوبات التابعة لمجلس الامن الدولي، وقد تأخر صدور هذا القرار لأسابيع بسبب طلب كل من روسيا والصين وقتاً لدراسة هذه الملفات، وقد وافقتا عليها في النهاية.

المسلم/وكالات

صفحات مشرقة من تاريـــخ ترجمة معاني القرآن إلى الفرنسيـة

في البـــدء كانـــت الترجمـــــة إلى اللغـة اللاتينيـــة

باريس/ أ. سعدي بزيان

لم يكن اهتمام الأوروبيين بترجمة معاني القرآن وليد اليوم ولا الأمس القريب، كما أن ترجمتهم للقرآن لم يكن الهدف منها التعرف والتعريف بأهم مرجعية دينية للمسلمين، بل كان لغرض آخر وهو النيل من الإسلام والمسلمين، وكانت أول ترجمة لمعاني القرآن في فرنسا قام بإنجازها أندرى دوريير ANDERDURTER الذي عاش في أرض الإسلام، وعرف لغتهم، إذ كان قنصلا لفرنسا في مصر، فقد كان أندري دوريير يعرف اللغة العربية والتركية أيضا معرفة جيدة، وقام في البدء بترجمة أشعار سعدى، أما ترجمته لمعاني القرآن فقد ظهرت سنة 1647، ولم تتوقف هذه الترجمة عند الحدود الفرنسية بل امتدت إلى ما وراء الحدود، حيث ظهرت ترجمات أخرى باللغات الهولاندية وغيرها من اللغات الأوروبية، وبعد مرور قرن ونصف قرن ظهرت ترجمة للأستاذ كلود شافاري (1788-1750)، وجاءت هذه الترجمة كمنافسة لترجمة دوريير، واعتبر كلود سافاري القرآن الكريم عمل من أعمال محمد، وقد سادت هذه الفكرة عند كثير من الأوروبيين الذين لا يريدون اعتبار القرآن الكريم وحي من الله إلى محمد صلى عليه وسلم، وهذا لم يمنع من مواصلة صدور ترجماته إلى غاية 1948.

القرن التاسع عشر وتسارع ظهور عدة ترجمات للقرآن الكريم

منها ترجمة كازيرميسكي (1887-1808) وهو مستشرق ولا تزال ترجمته معتبرة بحد الآن، وتسارعت عملية نقل معاني القرآن الكريم إلى الفرنسية بشكل ملحوظ غير أن القرن العشرين تميز أكثر فأكثر بتزايد عدد ترجمات القرآن وتزايد الاهتمام بالمسلمين والإسلام، وظهر تحسن ملموس في هذه الترجمات، بل أخذ موضوع الحوار مع الإسلام حديث المهتمين بالديانات لتتواصل ظهور عدة ترجمات لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية، فظهرت ترجمة ريجيس بلاشير (1900-1973) وهو مستشرق فرنسي معروف، له عدة أعمال عن الأدب العربي، منها ترجمته لكتاب «طبقات الأمم» لصاعد الأندلس مع تعليقات وتهميشات، «تاريخ الأدب العربي» من البداية حتى نهاية القرن الخامس عشر، وتوفي دون أن يتمه، وقد تحدث د عبد الرحمن بدوي -رحمه الله- عنه في كتابه «موسوعة المستشرقين» وبالضبط عن ترجمته إلى الفرنسية معاني القرآن الكريم مع مقدمة طويلة وتفسير قصير، وقد رتب القرآن في هذه الترجمة وفقا لما ظن أنه ترتيب نزول السور والآيات، وفي ترجمة أخرى واسعة الانتشار ظهرت سنة 1957 عاد فيها إلى الترتيب الأصلي الوارد في المصحف «ويقول د- بدوي أن ريجيس بلاشير وهو قد اشتغل بترجمة معاني القرآن صنف كتابا صغيرا بعنوان: «Le probleme demahome» لخص فيه أبحاث المستشرقين الذين كتبوا عن حياة محمد -وفي ألمانيا قام شيخ المستشرقين الألماني تيودور نولدكة (1930-1836) بإصدار كتاب عن تاريخ القرآن، وقد اطلعت مؤخرا على ترجمة له باللغة العربية من إنجاز مؤسسة كونراد إيدناورا أول رئيس لجمهورية ألمانيا الاتحادية بعد الحرب العالمية الثانية.

علماء مسلمون يساهمون في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الفرنسية

لعلماء المسلمين نصيبهم في هذا المجال، بحيث لم يبق المجال للمستشرقين وحدهم، فقد نافسهم علماء مسلمين في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية، ويقول المهتمون بالدراسات الإسلامية من علماء المسلمين أن أول ترجمة إلى الفرنسية لمعاني القرآن الكريم أنجزها المسلمون هي ترجمة الشيخان أحمد العيش وإبراهيم بن داوود، ثم جاءت ترجمة الشيخ أحمد التيجاني التي قرأها الدبلوماسي الألماني مراد ويلفريد هوفمان الذي أسلم متأثرا بعدة مواقف للمسلمين، ولعبت هذه الترجمة الفرنسية التي اطلع عليها مراد هوفمان دورها، فقادته إلى الإسلام، ولعل الترجمة الواسعة الانتشار اليوم هي تلك الترجمة التي قام بها العالم المسلم المتصوف المرحوم حميدو الله (2002-1908) الذي يتقن عدة لغات أوروبية وشرقية، وعاش في فرنسا أستاذا ومحاضرا وداعية إلى الله بإذنه، وكان سراجا منيرا في دنيا فرنسا، ترجمته هي التي اعتمدها مجمع الملك فهد في السعودية والذي أصدر ملايين من النسخ المترجمة إلى الفرنسية، ووزعت مجانا في الشرق والغرب، وقد مهد المرحوم حميدو الله الذي مات في الولايات المتحدة ودفن فيها الطريق أمام عدة شخصيات إسلامية التي أدلت بدلوها وأخذت على عاتقها المشاركة في ترجمة معاني القرآن الكريم يتقدمهم الشيخ حمزة بوبكر (1912-19959) وهو من الأبيض سيدي الشيخ وعميد المسجد باريس من (1982-1952) وهو مبرز في اللغة العربية وآدابها من جامعة الجزائر ودرس في معاهدها، وقد قام حمزة بوبكر بترجمة «البردة» للبوصيري، كما أصدر كتابا قيما باللغة الفرنسية بعنوان: Le traité moderne de la theologie Islamique «كما ظهرت له ترجمة لقصائد عدة لثلاث شعراء جزائريين، أما ترجمته لمعاني القرآن الكريم فتتمتع بشهرة واسعة، وقيل أنها أفضل ترجمة ظهرت لحد الآن، في حين شاع في أوساط عدة شخصيات إسلامية في فرنسا أن الشيخ حمزة بوبكر لم ينجز ترجمته وحده بل ساعده في ذلك آخرون دون أن يشير إليهم وهو يقدم ترجمته للقراء الفرانكفونيين من مسلمين وغيرهم، فترجمته المزدوجة مصحوبة بدراسة عن القرآن والتفاسير التي صدرت حوله من مختلف العلماء والمفسرين ولهذا جاءت ترجمته متميزة، فقد ظهرت في المنشورات الباريسية، وقام عالمين تونسيين بترجمة معاني القرآن الكريم إلى الفرنسية أحدهما وهو الشيخ الصادق مازيغ الذي نشر ترجمته سنة 1985، وترجمته مزدوجة اللغة «فرنسي عربي» ومصحوبة بتعاليق وشروحات من المترجم، ولا يذكر الذين أرخوا لتاريخ ترجمة معاني القرآن الكريم، الأستاذ نور الدين بن محمود -رحمه الله- الذي عمل مساعداً لعميد مسجد باريس الشيخ حمزة بوبكر، فقد أنجز هو الآخر ترجمة في الموضوع كما أسس في باريس مطبعة ومكتبة عربية باسم «مكتبة قرطاج» ومن العرب الذين لهم إسهامات في الترجمة من العربية إلى الفرنسية المثقف السوري الراحل روني خوام (2004-1912) والمولود في حلب من عائلة مسيحية أفنى عمره في باريس وقدم إسهامات كثيرة في عالم الترجمة، فقد قام بترجمة «ألف ليلة وليلة» كما قام بترجمة معاني القرآن الكريم، واعتبر من قبل بعض الشخصيات شيخ المترجمين من العربية إلى الفرنسية في فرنسا، وقد مات سنة 2004، بعد أن خلف وراءه عدة أعمال مترجمة إلى الفرنسية، ولم يخلفه لحد الآن واحد مثله.

دوتيز ماسون آخر عنقود في المترجمين الفرنسيين للقرآن الكريم إلى الفرنسية

دوتيز ماسون ولدت في المغرب وبالضبط في مدينة مراكش، فقد قامت دوتيز بدراسة مقارنة بين القرآن وبالإنجيل، وقد ظهرت في أبرز طباعة وهي مجموعة «لايلياد الراقية» كما ظهرت طبعة شعبية مع ملاحظات وشروحات من طرف علماء الأزهر الذين زكوا ترجمتها في حين كان لعدة علماء من الأزهر موقف مناهض لترجمة المستشرق الفرنسي، جاك بيرك (1910-1995) الذي ولد في مدينة فرندة (ولاية تيارت) وقد أهدى مكتبته بناء على وصيته إلى فرندة مسقط رأسه، وشاءت لي الظروف أن أكون أول من يتحدث على بيرك في افتتاح مكتبة باسمه في فرندة بحكم علاقتي الحميمة مع بيرك، وأجريت معه حوارا مطولا ونشرته في جريدة «الشعب» ثم أعدت نشره في كتيب صغير بعنوان: «أحاديث ممتعة» وذلك ضمن برنامج سلسلة كتاب الشعب التي أنشأها الراوي جيلالي خلاص عندما كان مديرا للنشر في المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، وقد أصدر بيرك ترجمة لمعاني القرآن وثارت ضجة حول ترجمته من طرف شخصيات مصرية وباحث مغربي الذي صادفته في مسجد باريس

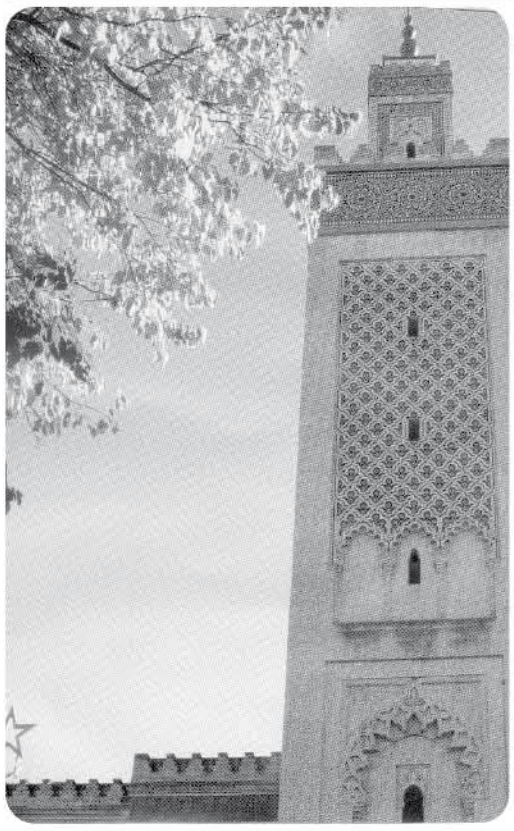

وسلم لي كراسا تضمن دراسة نقدية لترجمة بيرك وقد أهديت الكراس إلى د.سعيد شيبان للإطلاع، على أية حال مات بيرك في غياب أي اهتمام من طرف الجزائريين!

ومن جانبي فقد شاركت في ملتقى دولي حوله بمداخلة تقدمت بها غداة مرور عشر سنوات على رحيله، وذلك خلال هذا الملتقى الذي كان برعاية جامعة الجزائر برئاسة عميدها د. الطاهر حجار، ومات بيرك وهو في غضب من علماء مصر مما جعله يرفض دعوة زيارة مصر، وقد قال لي ذات يوم وهو في غضب شديد (كيف يقوم علماء الأزهر بشتمي في حين قاموا بتزكية أسوأ ترجمة للقرآن الكريم، قام بها أندري شواري من يهود الجزائر صهيوني حتى النخاع فعاث فسادا في القرآن جهلا وتجهيلا وحقدا على العرب والمسلمين، وقيل أن محمد لعزب مستشار شيخ الأزهر زكى ترجمة شواركي، ومحمد لعزب درس في باريس وهو حاليا أستاذ في معهد اللغات الشرقية بباريس وفي عدة لقاءات معه فند الأقوال التي قالت أنه زكى ترجمة شواركي والله أعلم.

فقراء من التاريخ.. نماذج لا تنسى

أ. حياة محمد شريط

الإسلام لا يكره الفقراء، وإنما يكره الفقر؛ لأنه قرين الكفر، وهنا نعرض بعض النماذج لأشخاص كانوا فقراء، ومع ذلك كانوا قممًا في الميزان الإسلامي.

من هؤلاء عمير بن سعد -رضي الله عنه - حيث نشأ يتيمًا فقيرًا منذ نعومة أظفاره، وشبّ على ذلك، ورأى بعينه في غزوة تبوك عثمان بن عفان -رضي الله عنه - يأتي بجراب فيه ألف دينار ذهبًا، ويقدّمه إلى النبي - عليه الصلاة والسلام - فهل أثر ذلك سلبًا في موقفه؟ هل قال: أنا لا أملك دراهم ولا ذهبًا؛ إذًا أنا مظلوم؟ أبدًا، بل إنه وقف - بفقره على مرتبةٍ رفيعة، وسما سموًا قلّ مثيله وكانت حياته كلها حافلة بالرفعة.

وهذا عمار بن ياسر -رضي الله عنه - يعيش عيشة الفقراء، لا مال ولا متاع ولا زينة، إنما الكفاف؛ فهل أثر ذلك في كفة ميزانه؟! هل منعه الفقر أن يكون من حملة أوسمة رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم؟!

لقد عاش عمار فقير الحال، لكنه كان من أغنى الأغنياء في ميزان الشريعة، فقد قال له رسول الله - عليه الصلاة والسلام -: (أنت من أهل الجنة).

وهذا صهيب الروميّ - رضي الله عنه - كان عبدًا مملوكًا لعبد الله بن جدعان في مكة، عمل في التجارة إلى أن أصبح غنيًّا، وعندما أسلم منعه كفار قريش من الهجرة؛ حتى يترك لهم ماله كله، فأعطاهم ما معه، ولما وصل إلى المدينة، قال له رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم -: (ربح البيع أبا يحيى).

هذا نموذج من النماذج التي يقدّمها الإسلام وهو يعلن أن الفقر مشكلة، ولكن الفقير العفيف المسلم الراضي بما قسمه الله له ليس مشكلة، وليس عارًا، وإنما فخر ووسام شرف، وهذا أبو الدرداء -رضي الله عنه - يحدثنا عن نفسه، فيقول: لقد كنت تاجرًا قبل عهدي برسول الله - عليه الصلاة والسلام - فلما أسلمت أردت أن أجمع بين التجارة والعبادة، فلم يستقم أمري على ما أردت، فتركت التجارة، إني لا أقول إنّ الله -عزّ وجلّ - حرّم البيع، ولكني أحب أن أكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، وحينما نريد إثبات فكرة أنّ الفقر لم ولن يكون عائقًا لأصحابه عن مراتب السيادة والقيادة، نجد خير دليل على ذلك الذين خاضوا مع رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم - معركة بدر، لقد كانوا جياعًا فقراء؛ لذلك كان المصطفى -عليه الصلاة والسلام - يقول في دعائه: (اللهم إنهم جياع فأطعمهم، اللهم إنهم عُراة فاكسهم، اللهم إنهم حُفاة فاحملهم).

وكان من هؤلاء الصحب الكرام سهيل بن حنيف - رضي الله عنه - الذي لم يمنعه فقره أن يكون من السابقين إلى الخيرات، ولم يمنعه فقره أن يصل إلى أعلى الدرجات.

هؤلاء نماذج من التاريخ امتازوا بقلّة المال والمتاع، ولكن كان لهم شأن عظيم.

الجزائر... إلى أين؟

أ.د فوزي أوصديق

بعد مقاطعة بعض الجزائريين للانتخابات، وبعد النجاح الذي تمّ إعلانه بالانتخابات الرئاسية، لم ينتهِ الوضع عند هذا الحدّ..! حيث تزاحمت الرؤى بين مؤيد ومعارض، وتضاربت الآمال، بين متفائل ويائس..!

وهانحن اليوم أمام مفترق طرق جديد، إذْ أن البعض قد قاطع مراسم تأدية الرئيس الناجح في الانتخابات «بوتفليقة» لفترة رئاسية جديدة لليمين الدستورية...

والسبب الرئيسي هو رفضهم لفلسفة القوة التي مورست على الأغلبية والدستور..

بالإضافة إلى سياسة التهميش واللامبالاة بالرأي الشعبي، ومحاولة تشويه وتزييف المشهد الانتخابي وجعله ديمقراطي، بينما في واقع الأمر هو على النقيض ..!

فهل بعد مقاطعة الانتخابات، وبعد مقاطعة أداء اليمين، مقاطعات جديدة؟

وهل من لبيب يفهم أسباب هذه المقاطعات !؟

وهل من عاقل يحاول إيجاد حلول لهذه الفُرقة، ويجسّد سبيلاً لخارطة طريق توحّد الجزائريين على كلمة سواء؟

بتنا الآن نخشى على الجزائر من المزيد من مقاطعات وابتعادات عن الحياة السياسية، وهذا سينعكس سلباً على جزائرنا الوطنية، والشعبية، هذا الاعتراض السياسي الصامت سينعكس سلباً على حياة الجزائريين الذين عقدوا آمالاً على الوعود بالإصلاح، فإن كانت الحلول لدى الأحزاب تكمن في النأي جانباً عن سير الحكم في الجزائر، فماذا نأمل من إصلاحات؟

وإن كانت السلطة الحاكمة لا تأبه لسواها من الجهات والأحزاب الشريكة في تسيير أمور الجزائر السياسية داخلياً، فهل سيكون هناك رضوخ أو استجابة لأطراف خارجية لها مآرب أخرى فيما يجري في جزائرنا؟

فلنترك الإجابة للوقت، وإن غداً لناظره قريب!!

وما نريد إلا الإصلاح..وما توفيقي إلا بالله!!

Oussedik@hotmail.com

في شأن «وضع الثقل»

أ. إبراهيم قمور

تتكاثر الأحاديث والتعليقات والاستنتاجات بخصوص إجراءات إلغاء الديون أو مسحها عن المدينين الذين لجأوا إلى التداين لأسباب مختلفة، فالشباب للتخلص من البطالة والفراغ القاتل، والفلاحون لتعويض خسائر الجفاف والجوائح الأخرى التي أكلت جهودهم وتركتهم في حيرة من شؤونهم الإنتاجية، وهناك مشجعون لهذه العملية ويرون فيها خيرا اجتماعيا كثيرا، ومنكرون لها ويعتبرونها من باب التحايل والعبث بالأموال وإنفاقها في سبيل التدريب على التواكل والغش والكذب.

ومع هذه الملاحظات فما تزال القروض تمنح لأجل بعث المؤسسات الصغيرة والمتوسطة وتحريك الأسس والمبادلات التجارية المتوازنة، وهذه الظاهرة ليست غريبة، فقد عرفها المنهج التنظيمي للإصلاحات السياسية والاجتماعية التي قادها المصلح اليوناني «سولون» وحارب بها استبداد الأشراف بعامة الشعب، وقد اشتد الجهاد ضدهم وطال أمده، وقد اختارته الأحزاب المتنافسة لإصلاح ما طرأ من فساد مظلم، وذلك لقدرته على التوفيق بين مختلف التيارات المتصارعة بعنف وإطلاعه على مجريات الأحداث ومنطلقات التصرفات، وحدود الأهداف القريبة والبعيدة، وهو القائل في بعض خطبه: إني لأعرف كل الشرور... وإني لآلم لذلك ألما يصل إلى أعماق قلبي حين أرى ما حل بهذه الأرض «أثينا» وما إن تربع «سولون» على بساط الحكم حتى سارع إلى منع اتخاذ المدينين رهائن بدنية مقابل ما عليهم من دين، وأصدر قوانين تنظيمية جديدة، وأسقط بموجبها كافة الديون الخاصة والعامة، وسمي ذلك الإجراء «وضع الثقل» وكأنه قد وضع عن كواهل المدينين أحمالا ثقالا، ورفعها عنهم فأصبحوا أحرارا خفافا، وقد ابتهجت طائفة بهذا الإجراء التحريري حينما أنكرته طائفة أخرى ورأت فيه عدوانا على بعض الحقوق والفوائد. وبالخصوص أن «سولون» حينما كان يفكر فيه -أي الأجراء- أفضى إلى بعض المقربين منه بما كان يختمر في نفسه ويتردد أمام عقله ويضطرب في عواطفه المتجهة إلى الإصلاح وبناء الديمقراطية.

وقد حاول الذين سمعوا الخبر قبل وقوعه إفشال الإجراء ولم يستطيعوا ذلك فعمدوا إلى الاقتراض وشراء الأراضي والعقارات والضيعات الشاسعة ولما ألغيت -أو مسحت- الديون أصبح أولئك المقترضون والذين أقبلوا على الشراء، من أهل الثروة الضخمة مما يمكنهم من الصعود حيث المناصب الرفيعة من قيادة وتسيير.

وهذه الفرصة أتاحت الثراء والغنى لقوم، وجعلت قوما يزعمون أن غناهم تحقق بفضل العمل والجهد في خضم الإصلاحات التي جاءت متلاحقة. ومن نقاط اللوم عن إسقاط الديون «وضع الثقل» أنه أغنى طبقة الأرستقراطيين على حساب الضعفاء، واستفاد لحسابه الخاص وهذا غير معقول لأن رجلا مثل «سولون» يبلغ من القصد، ومن حب وتقدير المنفعة العامة، والقدرة على سن القوانين التصحيحية والإصلاحية أيضا، أن يحرص على مصلحته الفردية، وهناك مؤرخين يرون أن هذا المصلح لم يسقط الديون عن أصحابها ولم يتدخل في إلغائها، وإنما منع قهر الضعفاء واستغلال متاعبهم والاستثمار في احتياجاتهم. وكان «سولون» يرشد الأغنياء إلى التصرف الأخلاقي فيقول في خطبه أمامهم: تعلموا أن تهدئوا في قلوبكم فورة الغضب، أنتم الذين أخذوا يعفون ثرواتهم الطائلة، تعلموا أن تأخذوا أنفسكم بالقصد، فلن نتخلى لكم عن شيء، ولن يستقيم لكم كل شيء، ويعتقد أن تبعة الاختلاف والانقسام تلقى على الأغنياء دون غيرهم، وكان يقول: إنه يخشى البخل والكبر اللذين ينشأ عنهما الحسد والبغض والعداوة الفئوية والطبقية.

ورغم التباين والتمايز في الزمان والمكان والمستويات الاجتماعية والسياسية والثقافية، فعندنا قوم يشجعون على إلغاء الديون أو مسحها من باب التشجيع على العمل والجهد، وقوم آخرون ينكرون هذا الإجراء ويرونه اعتداء على المصالح العامة، ونرى هذه الظاهرة عرفها اليونان مع المصلح «سولون».

-1 عاش في أويل القرن (5 ق.م)

غضبنا يجب أن يكون حضاريا بامتياز !

أ. عبد الباقي صلاي*

عندما أقف عند مقولة الإمام الشافعي رحمه الله «من استغضب فلم يغضب فهو حمار و من استرضي فلم يرض فهو شيطان وفي رواية أخرى فهو جبار»، أشعر وكأنّ الإمام الشافعي أراد بمقولته هذه التعبير عن حالتنا نحن العرب والمسلمين في هذا العصر الذي يموج بالأحداث والتجاذبات المختلفة.

لكن ورغم هذه الأحداث والتجاذبات الدولية الكبيرة والكثيرة بيد أن موقعنا على الخارطة العالمية، ودورنا ضمن هذه الخريطة لا يعدو أن يكون مجموعة خالية في كثير من المحطات، وشللاً كاملاً يكاد يمس أغلب أنحاء جسم هذه الأمة، حتى الغضب الذي هو فعل إرادي تختص به النفس التي قال عنها الإمام الشافعي بأن صاحبها يصبح صنو الحمار لو استغضب ولم يغضب، لم نعد نقدر صراحة على صناعته كحالة من حالات أضعف الإيمان، بل لا نعرف حتى متى نرضى ومتى نغضب، ومتى نقدم الرضا على الغضب ومتى نقدم الغضب على الرضا!.

الإمام الشافعي لا يقصد من الغضب إلا ذلك الغضب الذي يدخل ضمن إطاره الشرعي، والذي يكاد يكون موصولاً بحديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه وإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» لأنّه عندما نشرح الحديث ليس فقط من حيث لغته، نجده يحرص على أن يكون الغضب أول شيء يقوم به المؤمن حيال ما يراه من منكر، فالمؤمن قبل أن يبدأ عملية التغيير باليد كما جاء في الحديث الشريف فإنه يتوجب حالة نفسية تسبق حركة اليد وموطنها القلب، وهذا النوع من الغضب محمود وفرض عين على كل مسلم ومسلمة لا سيما عندما تستباح حمى الإسلام وتمس القضايا الكبرى وكرامة المؤمن.

لكن الغضب غير المحمود هو ذاك الغضب الذي يكون في غير موقعه الصحيح،يفتعل من أجل قضايا خسيسة لا تزيد الأمة إلا خبالا، وما أتفهنا نحن المسلمين نغضب لأتفه الأسباب، ولأتفه القضايا.

ولهذا فإنّ الإمام الشافعي يود من الذين يُستغضبون أن يغضبوا عندما يتطلب الأمر ذلك، وهو لا يرى غضاضة مادام الغضب في سبيل الحق وفي سبيل الله،ويقرن الغضب في نفس الآن مع حالة الاسترضاء وهذا يدخل ضمن إطار ذات النفس التي تتفاعل بشكل طبيعي مع الأحداث، ومع المؤثرات الخارجية.

ويجب التنبيه إلى نقطة في غاية الأهمية لأنّه إذا كان الغضب في المسائل الكبرى يكون محمودا، بل مطلوبا، فإن الاسترضاء يجب أن يكون هو الآخر ضمن الإطار نفسه الذي عليه الاستغضاب؛ لأن المسلمين في الوقت الحاضر أضحوا يستغضبون بل يستدرجون نحو الغضب غير المحمود الذي تكون عواقبه غير محمودة، وفي ذات الوقت يُسترضون بكلمة أحيانا تكون غير صادقة، ومن يرجع بشريطه إلى الوراء فقط من تسع سنوات أو أكثر بقليل عندما هاجت الأمة الإسلامية وماجت من أجل تلك الرسوم التي كانت بطلتها جريدة محلية غير معروفة حتى في موطنها بالدنمرك، يعرف ويتيقن كيف أن المسلمين يستغضبون فيغضبوا آه نعم لكن سرعان ما ينسون، وسرعان ما يحبون ذاك الذي استغضبهم.

وإني أسأل ببراءة شديدة هل مازال النداء الذي كان وراءه علماء والذي يدعو جميع المسلمين إلى مقاطعة المنتجات الدنمركية، أم أن المنتجات المقاطَعة أصبحت أكثر من ذي قبل أكثر رواجا، في انتظار موجة أخرى تحرك المسلمين ليغضبوا على الآخرين!

الطرف الآخر وعلى وجه التحديد الغرب خبير في إغضاب المسلمين وخبير في ذات الوقت في إرضائهم بالكيفية التي يريد هو لا بالكيفية التي يريدها المسلمون.

ولا زلت أذكر نصيحة الشيخ أحمد ديدات -رحمه الله- للعلماء المسلمين الذين يذهبون للغرب من أجل مناظرة الآخرين، والتعريف بالدين الإسلامي، وقد كانت نصيحته تتمثل في أن لا ينخدعوا بالكلام المعسول الذي يقدمه لهم الآخرون، خصوصاً وأنهم يعرفون كيف يستميلون الطرف الآخر بالكلام، ومما قاله أحمد ديدات أن العلماء المسلمين وإن كانت لديهم القدرة الفائقة على المناظرة وامتلاك الحجة بيد أنهم قد يفشلون إذا هم انساقوا إلى ألاعيبهم وإلى مجاملاتهم الرخيصة.

الغضب لدى المسلمين جزء من يومياتهم ومن حياتهم والأسباب كثيرة بطبيعة الحال بل إن أردنا الحقيقة فإن ما قاله الإمام الشافعي هو عين الصواب لما يتعرض له العرب والمسلمون من ضغوطات كثيرة في الحياة بدء من السوق وانتهاء بالسياسة ومن يمارسها من السلط والحكومات.

فحجم الإكراهات صراحة كبير في أوطاننا العربية جراء ما تعانيه الأمة من صنوف العذاب اليومي، فالذي لا يملك قوت يومه ولا يجد عملا يقيم أوده بمعية أبنائه فهذا لا حق لنا أن نطالبه بالرضا والقناعة وعدم الجنوح إلى الغضب، لكن في سياق متصل لا نطالبه بالسكوت على ما يجري له والأمر سيان بالنسبة للغالبية الكبرى من السواد الأعظم لهذه الأمة التي تنام وتصحو على الغضب من أوضاعها الاجتماعية البائسة.

لكن هناك تهم توزع على كثير من الدول في العالم العربي بعينها أنها تميل أكثر من غيرها إلى الغضب، وعلى سبيل المثال الجزائريين، وغالبا ما يحدثني البعض عن نرفزة الجزائري، وغضبه السريع وبحكم أني جزائري دائما أحاول أن أطلب منهم دليلاً على أن الجزائريين شديدو الغضب أو سريعو الهياج، ودائماً أجدهم يبررون ذلك بأن الجزائري لا يجامل كثيراً بل لا يحسن لغة المجاملة، ولا يحسن سياسة الإيتيكيت، وكنت أرد على ذلك بأن ما يقال عن الجزائري ليس صحيحاً بالمرة أولاً ليس لأن الجزائري هو خارج المجموعة الشمسية أو خارج درب التبانة حتى لا ينطبق عليه ما ينطبق على غيره من العرب الآخرين ولو بنسب متفاوتة، ثانياً لأن أغلب الجزائريين عاشوا في جو استعماري مشحون بالبغضاء والكراهية، حتى أن ما ينفعل لأجله فهو يعتبر الحقيقة التي الكثيرون يريدون التستر عليها.

ولو أننا لا نريد أن يكون هذا موضوعنا ولكن أردنا أن نبين ونبرهن أن الشعوب العربية لا بد لها أن تغضب الغضب الحضاري الذي يعيد لهم اعتبارهم ويعطي لهم قدرة على مواصلة الحياة بشكل طبيعي.

والغضب الحضاري هو جزء من شخصية الشعوب التي تهب هبة رجل واحد عندما تمس عقيدتها أو يمس شرفها، ولنا من التاريخ ما هو لنا عبرة، نداء امرأة ومعتصماه جعل الأمة قاطبة تجيش الجيوش لنجدة هذه المرأة من أضراس الظالمين.

والأمثلة كثيرة لكن أردنا أن نخلص إلى نتيجة واحدة أن العرب والمسلمين يوم يحسنوا التعامل مع حالتهم النفسية ويعرفوا متى يغضبون ومتى يرضون ومتى يفرقون بين حالات الغضب وحالات الرضا عندئذ فإننا نستطيع أن نقول أننا قطعنا أشواطاً في طريق بناء المستقبل وتحقيق أهدافنا وعلى رأسها التنمية التي هي في الوقت الحاضر موجودة فقط في أرشيف الحكومات العربية التي لا تحسن سوى فبركة الأرقام، ومغالطة الواقع.

*إعلامي ومخرج أفلام وثائقية

المسلـــم بين الدعـــوة والسياســـــــة

عبد العزيز كحيل

العمل السياسي واحد من أشكال وصور الالتزام بالإسلام وإقامة الدين في واقع الناس، مثله مثل النشاط الخيري والتربوي والفني، وإذا كان المطلوب شرعاً أن تنفر طائفة من المسلمين لتتفقّه في الدين - أي تتخصّص في أصوله وفروعه وتكوّن طبقة علماء الدين - فالمطلوب أيضا أن تنفر الطواف الأخرى لتشتغل بكل المجالات الحيوية في المجتمع، ومنها المجال السياسي، حتّى يستوي السمت الإسلامي على الحياة كلّها ويكون الدين كلّه لله، أي تصبح له الغلبة الفكرية ويحتلّ مواطن الريادة كقدوة حسنة رفيعة للبشرية، يجيب عن الأسئلة المصيرية ويوفّر الحلول الذهنية والعملية للمشكلات الإنسانية العويصة ويجسّد في آحاد الناس ومؤسّساتهم المختلفة السلوك الأخلاقي القويم الملتزم بالواقعية والوسطية.

وقد أتاح الربيع العربي للإسلاميّين أن يتصدّروا المشهد السياسي في أكثر من بلد ويخوضوا غماره باسم بالمشروع الإسلامي، فدخلوا المنافسات الانتخابية وألّفوا حكومات هنا وشاركوا في أخرى هناك وأصبحوا أرقاما قوية في المجالس التشريعية وأطرافاً فاعلة في الحياة السياسية، ويُنتظر أن يتكثّف حضورهم في مفاصل كثير من الدول العربية وأن تكون ضمان الحلّ الاسمي أكثر وضوحاً مع مرّ الزمن، لذلك أرى أنّه من الضروري والمفيد جلب الانتباه إلى معالم في ممارسة النشاط السياسي بأشكاله الجديدة التوضيح بعض الرؤى وتجنّب بعض المزالق، يأتي على رأسها الانفصال عن الدعوة الانغماس غير المحمود في السياسة.

إنّ الدعاة يعتبرون الممارسة السياسة عبادةً لله فيحيطونها بالخلق الكريم والأدب الجمّ، وهم ينشدون من ورائها تعبيد الناس لله بواسطة دولة الشرع التي يسعون إلى إقامتها باعتبارها هدفاً مرحلياً هامًّا ووسيلة فعالة في حركية انسجام الفرد والمجتمع مع سنن الله وتعاليم دينه، ولكن لتلك الممارسة إكراهات قلّما ينجو منها من يباشرها، ذلك أن العمل الحزبي يأكل الوقت ويأخذ بمجامع النفس ويُقسي القلوب في دوامة الخلافات والمنازلات، و غالبا ما يذهب برجل السياسة في مزالق الكذب والافتراءات والعُجب والنفاق والرياء وغيرها من الأمراض التي يعاني منها محترفو السياسية عند المسلمين وعند غيرهم على السواء، وهذا ما ينبغي أن يحذر الداعية الوقوع فيه، فهو يدخل المعترك السياسي -ونِعم الدخول هذا- بنية تنويع طرق الدعوة والحضور في كل مجال يخدمها لكن قد يطول عليه الأمد فيعتريه ما يعتري غيره ممن تستهويهم السياسة فيدمنون عليها وينسلخون شيئاً فشيئاً من المبادئ والقيم ويخوضون في وحل السياسة المحترفة، ولا ينفع الداعيةَ إذا حدث له هذا أن يتذرّع بانخراطه في سلك الدعوة والتزامه بأهدافها لأنه حينذاك يكون مزدوج الشخصية، ظاهره الإسلام وباطنه حطام الدنيا، أي قد يستند إلى الخطاب الديني والمظهر الإسلامي لكن المنصب سيصبح عنده الغايةَ القصوى، تهون دونه والأموال والأعراض وحتّى الدماء، وما الإسلام حينئذ سوى غطاء، كما ينسى في زحمة العراك السياسي آداب الإسلام وضوابطه، ويبرّر انحرافه بفتاوى وذرائع ذاتية، كيف لا والشيطان في هذه الحال جليسُه وأنيسُه ومستشارُه، وقد رأت الساحة دعاة ساروا في هذه الطريق فأضاعوا الانضباط بالشرع والتزيّن بالأخلاق وتساهلوا في أمور تُعدّ من الأصول، ولم يعُد يربطهم بالإسلام إلاّ خيط رقيق رغم امتلاء أفواههم به وبشعاراته ورغم ما كانوا عليه من بدايات نابضات.. إنه مَهرُ السياسة، ذلك الفنّ الجذاب الذي اقترن بالمكر والخداع والحيَل، وفيه من اللّذة والسحر ما يبدّل الطباع ويفسد سلوك روّاده حتى لو كانوا إسلاميين إذا لم يأخذوا حذرهم ويستعدّوا فكريا وروحيا لخوض غماره مستصحبين على الدوام أنواعا من الواقيات والضوابط.

فما العمل إذاً؟...قد يتبادر إلى الذهن أن الأولى بالدعاة أن يغادروا ساحة العمل السياسي إيثارا للسلامة واحتياطاً لدينهم، لكن من يقف في وجه الزحف العلماني في هذه الحالة وهو يجلب على بلاد المسلمين بخيله ورجله يمكّن للأفكار الوافدة ويسعى إلى صبغ الحياة بالحلول المستوردة المعادية لعقيدتنا وشريعتنا وأخلاقنا؟ ومن يُخرج إلى دنيا الناس المشروع البديل الذي ينتظرونه ليُخلصهم من الاستبداد والفساد وأنواع المضارّ المادية والمعنوية التي تنغّص عليهم حياتهم منذ الاستقلال الصوري عن المحتلّ الأجنبي؟ ولا يخفى على البصير أن تعفّف الدعاة عن ممارسة النشاط السياسي هو قرّة عين أعداء الإسلام ليخلو لهم الجوّ فيبيضوا ويفرّخوا، فلابدّ من التمكين للسياسة الشرعية النظيفة بمراغمة سياسة العلمانيين المتعفّنة التي لا تتورّع عن أية وسيلة لبلوغ غاياتها، ولابدّ من مواجهتها تفاعلاً مع سنة الله الثابتة:{كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ}(سورة الرعد: 17) فلا مفرّ من شغل ميادين الحياة الاجتماعية المتشعّبة كلها وعدم الاكتفاء بالعمل الخيري المحدود والعبادة الفردية -على أهميتهما- كما وقع للصوفية عندما استصعبوا مواجهة الواقع فانزووا عن النّاس ورفعوا شعار «دع الخلق للخالق والملك للمالك»، فتُركت سياسة شؤون المسلمين لمن لا دين له ولا خلق، فكانت كارثة الانفصام بين القرآن والسلطان، وهي تجربة مريرة لا يجوز تكرارها.

إن الداعية الصادق يخوض العمل السياسي المشروع إلى جانب مجالات عمله الدعوي الأخرى لكنه يحرص على جملة من الواجبات تقيه الوقوع في المحذور وتمكّنه من الجمع بين الغُنم والسلامة، فهو -مهما طال عمله في السياسة وكثرت التزاماته وعلا كعبه في المسؤولية- لا ينفصل عن الجماعة الملتزمة بالإسلام أبداً بل يداوم على مصاحبتها واقتسام أشغالها، كما يجعل من ثوابته اليومية التي لا تقبل استثناء تلاوة الورد القرآني بالشروط الشرعية، والمواظبة على ورد الذكر وقيام الليل بما تيسّر، إلى جانب أداء الصلوات في وقتها وجماعةً وعدم ترك صيام النافلة ما لم يتعارض مع الواجبات المتعينة، ويحسن به أن يكثر من مطالعة سيرة الرسول -عليه الصلاة والسلام- والخلفاء الراشدين وأرباب القلوب والبكاء والعلم والإصلاح والتجديد حتى يتزوّد من سيرهم بما يُعينه على اقتحام عقبة السياسة والاستمرار في طريق الحق والطهر، ويقاس على ما ذكرنا كلّ ما من شأنه أن يثبّته على المبدأ الذي من أجله أصبح رجل سياسة.

هذا صعب لا محالة، لكن لا مناص منه لتجنّب الوقوع في تطرفين: إما لعن السياسة مطلقا واعتبار الاشتغال بها رجساً من عمل الشيطان (لمن لم يميّز بين السياسة الشرعية وسياسة العلمانيين غير المنضبطة بدين أو خلق) وبالتالي السقوط في حبائل العلمانية، وإما الغرق في السياسة والانسلاخ من الالتزام بالدين، وفي كلتا الحالتين تضييع لحقوق لأمة، أما إذا أخذ الداعية نفسه بالمجاهدة والمراقبة وكان فارساً بالنهار راهباً بالليل، وجمع بين هموم أمته ودينه وبين واجبات نفسه أمام الله فأعطى لكل حقّه فإنه يكون قد سلك طريق العظماء واقتحم الباب الضيّق الذي يحُيل على الفوز إن شاء الله، فما هو إلا إحداثُ توازن بين مقتضيات العمل السياسي وضوابط الشرع، بذلك يجمع الداعية بين الحسنيين ويكون قدوة لمن يتخوّفون من إقحام الإسلام في وسخ السياسة والذين يرغبون في خدمة دينهم وأمّتهم ويخشون التلوّث بلوثة السياسة وفتنتها.

والله -عز وجل- خير وكيل للداعية إذا تمسّك بأهداب دينه تمسّكا مبصراً صادقا، وعند ذاك لا يضرّه أن يقتحم كل الميادين الممكنة، ولا خوف عليه من الانتقال من داعية إلى سياسي ماهر أريب معطاء، وإنما قد تلقّى تربية متينة متنوّعة متواصلة ليكون رجل المراحل الحاسمة والأوقات العصيبة، ولا فرق عنده بين محراب الصلاة وميدان التدافع الاجتماعي إذا أخلص النية واستصحب الصدق مع الله ومع نفسه ودعوته وأمّته، وبقي متلقّيا لإشعاع التهيئة الربانية سواء كان في حلقة الدرس أو سدّة الحكم، لكنّ الخطر الذي نُبدأ حوله ونُعيد هو الاستغناء بالنفس والانفصال عن أدبيات التربية الأولى والاقتداء بالدنياويّين من محترفي السياسة الذين تنقلب الوسيلة عندهم غاية، ويصير المنصب ربّاً وصاحبُه عبداً.

لُمعة أخوة الإسلام

د. محمد مـــــراح*

أعتقد - والله أعلم- أن أكبر عامل بفضل ومنة من الله تعالى فيما حققته الصحوة الإسلامية بالجزائر من إنتشار ووعي وجذر في الواقع الجزائري، يعود للأخوة الإسلامية التي تعبقت بها نفوس وقلوب الشباب المسلم آنئذ، فأينعت وأثمرت تمارا عجيبة في المشاعر والعواطف والأقوال والأعمال، ولو قدر للإخوة والأخوات أن يدوّنوا ما عاشوه في ظلالها الوارفة لأهدوا لواقعنا الحالي بلسما شافيا بإذن الله تعالى، وأنوارا متلألئة، وبروقا مضيئة، ومعينا غير ناضب من تلك الأخوة التي سوف تذكرنا جميعا السابق واللاحق منا بالمؤاخاة النبوية بين سادتنا وأحبتنا وقادتنا المهاجرين والأنصار.

قد لا أكون متجاوزا في الطلب والاقتراح لو إنبرى من يجد في نفسه وجهده القدرة لإنشاء موقع على الانترنت، لتراث الحركة الإسلامية بالجزائر، في الأخوة الإسلامية، تجمع فيه ذكرياتها، ووقائعها، وصورها مما عاشه الجميع، فتكون بمثابة مذكرات جماعية للأخوة الإسلامية، فيُحفظ بها تاريخ مجيد من نور لتلك السنين النورانية، وترسم للأجيال المسلمة القادمة النماذج المشرقة من القدوة في الأخوة الإسلامية.

كما قد يبارك فيها الله تعالى لتكون محطة مباركة يعود فيها بريق الصحوة الإسلامية المباركة، وتُرأب الصدوع، وتشتاق النفوس لرحمة الأخوة الصاقة المؤمنة، نسألك اللهم رب المؤمين المتآخين فيك التوفيق والسداد .

*جامعة أم البواقي

تعزيـــــة

انتقل إلى رحمة الله تعالى عم الزميلة الأستاذة **سمية بولغب**، المدعو عمر بولغب عن عمر ناهز السادسة والثمانين، وبهذه المناسبة الأليمة يتقدم الدكتور عبد الرزاق قسوم وأعضاء المكتب الوطني وهيئة تحرير البصائر بأحر التعازي لأسرة بولغب، سائلين المولى سبحانه وتعالى أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته وأن يرزقه الفردوس الأعلى.

إنا لله وإنا إليه راجعون

تعزيـــــة

انتقل إلى رحمة الله تعالى السيد جمال أوشتاتي عضو شعبة ابن باديس التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالخروب ولاية قسنطينة، وبهذه المناسبة الأليمة يتقدم أعضاء شعبة ولاية قسنطينة، وأعضاء المكتب الوطني بأحر التعازي لأسرة الفقيد، سائلين المولى سبحانه وتعالى ان يتغمد الفقيد بواسع رحمته وأن يرزقه الفردوس الأعلى.

إنا لله وإنا إليه راجعون

رؤية

الدروس الاثنا عشر للتجربة الماليزية...هل من مستفيد؟

د. فارس مسدور -من إسطنبول-

وأنا أقرأ بحثاً للباحث الدكتور محمد شويح الذي عنونه بـ: دراسة التجربة الإدارية في اليابان وماليزيا وكيف نستفيد منها في الجزائر»، حيث لخص التجربة الماليزية من خلال ما ذكره رئيس الوزراء الماليزي مهاتير محمد فيما يلي:

1. الشعار: ساهموا في ازدهار جيرانكم، وهذا ليس من الإيثار، ولكنه من التصرف السليم، فعندما يكون جيرانكم في استقرار وازدهار فإن التبادلات الاقتصادية تنفع الجميع.

2. الإستراتيجية: سياسة النظر إلى الشرق، وليس الرأسمالية ولا الشيوعية، ولكن البراغماتية، وإرسال الوفود الرسمية إلى الخارج لجذب رؤوس الأموال من دون التدخل في السياسة الداخلية.

3. تعزيز القدرات المحلية: في الإدارة والتسويق.

4. تشجيع الملكية المحلية والاستثمار المحلي في قطاعات جديدة.

5. مبدأ أساسي: استيراد المواد الخام وإضافة قيمة لها ثم إعادة تصديرها.

6. الثقافة: نهجنا قادنا للتأكيد من أن الثقافة كانت وسيلة لا غنى عنها في التنمية، وبالتالي كان القرار بالاستفادة من منظومة القيم لليابان وكوريا الجنوبية: حماسة في العمل وانضباط وإحساس قوي بالعار، حاولنا غرس هذه القيم الجديدة في نفوس الملايو مع إقحام النساء اللواتي يمثلن نصف عدد السكان، وأسسنا كيفية متوازنة لتسوية النزاعات مفضلين التحكيم بدل المواجهة، وهذا يخلق جوا استثماريا سليما وجذابا بالنسبة للمستثمرين.

7. استثمارات ضخمة في البنية التحتية: دور البنية التحتية أساسي في تطوير البلد، وقناعتي أن توفير البنية التحتية يخلق الطلب، وينعش بقية الاقتصاد، مما يخلق فرص العمل والطلب على الاسمنت، والصلب، بالإضافة إلى تلبية احتياجات التنقل لسكان الريف..

8. دور الحكومة: عندما تستثمر الدولة فإنها تسترجع ما قدمت من خلال الضرائب المستحقة لها، وهنا تتجلى مزايا بناء البنية التحتية، وحتى المدعومة منها، لأن هناك من ناحية خلق الثروة في جميع مراحل عملية البناء وتسهيلات مقدمة للسكان ورجال الأعمال، ومن ناحية أخرى هناك عودة الاستثمارات في شكل ضرائب ورسوم.

9. الحد من الفساد: الفساد هو العقبة الرئيسية أمام التنمية، إن انعدام الفساد مستحيل، ولكن عندما يكون متجذرا في ثقافة بلد ما، حينئذ لا يمكن أن نفعل شيئا لاحتوائه، هناك حل وسط يتمثل في تقصير العمليات ومدد القرار، كيف؟ من خلال إدخال منهجي لأدلة الإجراءات لأي نوع من المهمة، فالنتيجة لن تتأخر: الاستثمارات في ارتفاع، تغيير جذري وبناء مصانع جديدة، وهذا لا يعني أن الفساد قد اختفى، لكنه لم يعرض تنمية البلد للخطر، ولتنفيذ هذه المفاهيم بنجاح، فمن الضروري وجود إدارة كفأة ومدربة في جميع المجالات التي يهتم بها الموظفون.

10. التخطيط في غياب تنسيق الأنشطة وغياب الهدف، كل الجهود تذهب سدى، واعتماد التخطيط على مدى 5 سنوات خلال المرحلة الأولى كما فعلت الدول الشيوعية، ثم الانتقال إلى التخطيط لفترة من 10 سنوات إلى 30 سنة. إن الخطط هي التي تحدد المسؤوليات، وتنفيذ المهام وقياس النتائج أمور منتظرة من كل دائرة ومن كل موظف، كما أن التقييمات في منتصف الطريق تسمح بإدخال التعديلات.

11. الحاجة إلى المعلومات: في جميع المجالات الاقتصادية، أو تجريب غرفة الحرب، وهذا يسمح بقياس قوانا وضعفنا في قطاع معين، وتحديدا على الصعيد الدولي الأموال المتاحة للاستثمار في هذا القطاع، وتوفير البنية التحتية واليد العاملة.

12. امتلاك أخلاقيات العمل: لقد نجحت ماليزيا بامتلاك أساليب العمل وأخلاقيات العمل للبلدان الأكثر تنافسية، إن سر نجاح ماليزيا هو العمل.

الذي أعجبني في هذه الخلاصة التي قدمها «مهاتير محمد» أنها أعطت زبدة قواعد أي نهضة اقتصادية يمكن أن تبنى على أسس سليمة، ثم أن محاربة الفساد الذي نعاني منه في بلادنا كان لمهاتير نظرة عاقلة ورزينة ذلك أنه يعترف أنه ليس هنالك بلد خال تماما من الفساد خاصة وأننا في بداية الطريق، وأنه يمكن التعامل بذكاء مع هذه الظاهرة الخطيرة ومحاولة احتوائها شيئا فشيئا إلى أن تزول مع مرور الزمن، ثم أنه ليس عيبا أن نستعين بمثل وقيم أخلاقية وإنسانية لدول ومجتمعات قد تكون غريبة عن ثقافتنا وتعاليم ديننا، لكنها أسس أي نهضة حقيقية. ركزت على العمل ومحاربة الفساد وثقافة خدمة المجتمع والتفاني فيه.

ماذا ينقص الجزائر لتأخذ هذه التجربة وهذه القواعد وتحاول أن تستفيد منها لإحداث الإقلاع الحقيقي للاقتصاد، وإحداث تنمية حقيقية نلمسها في أرض الواقع، وليس مجرد وهم تحمله الأرقام المضللة.

اخبار إقتصادية

الجزائر تستورد معدل 18 دولاراً لتصدّر لأوروبا دولاراً واحدا

ركزت السلطات الجزائرية خلال الدورة الثامنة لمجلس الشراكة بين الجزائر والاتحاد الأوروبي الذي نظمت أمس الأول ببروكسل على المطالبة بدعم واسع وفعلي على المستوى الاقتصادي لإدراك الجانب الجزائري، بتأخر القطاعات الصناعية بالخصوص وعدم قدرتها على مجاراة المنافسة،حيث تعاني الجزائر، حسب آخر التقديرات المتوفرة لدى مصالح الجمارك، من اختلال كبير لأطراف التبادل وعجز في الميزان لصالح الجانب الأوروبي خارج نطاق المحروقات وتبقى الجزائر تحقق فائضا بفضل الصادرات الغازية بالخصوص باتجاه أوروبا، حيث تمثل نسبة 10 إلى 11 في المائة من حاجيات السوق الأوروبي.

وتفيد الأرقام المتوفرة، أن الجزائر استوردت عام 2012 من دول الاتحاد الأوروبي ما قيمته 26.3 مليار دولار، أي أن الحصة الأوروبية من إجمالي الواردات تقدّر بـ 52.27 في المائة، وبلغت الواردات عام 2013 ما قيمته 28.58 مليار دولار ونسبة 52.11 في المائة بحصة تقدّر بـ 52.11 في المائة. بالمقابل بلغت الصادرات الجزائرية باتجاه الاتحاد الأوروبي عام 2012 ما قيمته 39.797 مليار دولار، وهو ما يمثل حصة تقدّر بـ 55.38 في المائة من الصادرات الإجمالية الجزائرية، ثم سجلت عام 2013 صادرات بـ 42.773 مليار دولار بحصة تقدّر بـ 64.89 في المائة، وبالتالي، فإن الجزائر تبقى مرتبطة بصورة كبيرة في تعاملاتها التجارية بدول الاتحاد الأوروبي. وإذا كانت الجزائر تحقق فائضا إيجابيا بفضل المحروقات سنتي 2012 و2013، بـ 12.87 مليار دولار و14.19 مليار دولار، فإن الميزان التجاري يختل تماما مع التعاملات خارج المحروقات، حيث تستورد الجزائر معدل 18 دولارا لتصدّر لأوروبا دولارا واحدا، وهذا العامل يكشف مدى عجز القطاعين الفلاحي والصناعي الجزائري في تحقيق توازن ولو نسبي في أطراف التبادل مع أوروبا في غياب أو تقليص حصة المحروقات.

وفي الوقت الذي ثمنّت فيه الجزائر الحلول الوسطى التي توصّل إليها الطرفين حول مراجعة التفكيك التعريفي والتوسيع المؤقت للتعريفات التفاضلية لكرواتيا، إلا أن ذلك لا يحجب صعوبة الوضع التفاوضي الجزائري، خاصة مع اقتراب موعد الانضمام إلى المنظمة العالمية للتجارة الذي يمكن أن يتم في غضون 2015 وما يمثله من تحد جديد، مع تحرير قطاع الخدمات، وبخصوص تطبيق مختلف ترتيبات اتفاق الشراكة مع الاتحاد الأوروبي، تلح الجزائر على أن هذا التطبيق «ينبغي أن يأخذ بعين الاعتبار حاجيات ومصالح الطرفين». وتأمل الجزائر «بأن يترجم دعم الاتحاد الأوروبي لتنويع اقتصاده ميدانيا بإشراك أكبر للاتحاد الأوروبي في مختلف برامج التعاون وفتح سوقه للمنتجات الجزائرية كدعم لبعض الصناعات الناشئة في الجزائر». وتشدد الجزائر على أهمية تطوير التدفقات المالية على شكل استثمارات مباشرة ومصاحبة وتأهيل للصناعة، معتبرة أن ما يقوم به الجانب الأوروبي لا يزال بعيدا عن المأمول، بينما لا يزال الطرف الأوروبي ينتقد ضمنيا التدابير الإدارية البيروقراطية وثقل رد فعلها وعدم مواءمة مناخ الأعمال والاستثمار مع المقاييس المعمول بها دوليا، والعراقيل التي تواجه المؤسسات وعدم الاستقرار القانوني والتشريعي. بالمقابل يشدّد الجانب الجزائري على دعم الصناعات الناشئة، من خلال فتح السوق الأوروبية للمنتجات الصناعية والفلاحية الجزائرية. من جهة أخرى، جددت الجزائر طلبها للاتحاد الأوروبي لمرافقتها ومساندتها في عملية انضمامها للمنظمة العالمية للتجارة طبقا للالتزام الذي اتخذته في اتفاق الشراكة علما أن الجانبين اتفقا على ترك الجوانب المتعلقة بالخدمات للتفاوض عليها في إطار المنظمة العالمية للتجارة.

جريدة الخبر بتصرف

○○○

تقارير: مصاف إسرائيلية تشتري نفط كردستان العراق

أفادت مصادر في قطاع النفط وفي خدمات تتبع مسارات السفن أن مصافي نفط إسرائيلية وأميركية انضمت إلى قائمة متنامية من مشتري النفط الخام من إقليم كردستان العراق، الذي يخوض صراعا مريرا مع الحكومة المركزية في بغداد التي تقول إن مبيعات الإقليم غير مشروعة.

وذكرت المصادر أن الولايات المتحدة استوردت أولى شحناتها من النفط الخام من المنطقة قبل أسبوعين، بينما اتجهت أربع شحنات على الأقل إلى إسرائيل منذ يناير/كانون الثاني الماضي بعد توجه شحنتين إلى هناك في الصيف الماضي. غير أنه ليس معروفا هل اشترت إسرائيل النفط من إقليم كردستان العراق بشكل مباشر أم عبر وسطاء بدون علم حكومة الإقليم.

وكانت الحكومة العراقية أكدت مرارا أن أي مبيعات نفطية تتجاوزها هي مبيعات غير قانونية، وهددت بمقاضاة أي شركة تبرم صفقات من هذا النوع. ومع ذلك يباع نفط كردستان ونواتج تكثيفه الخفيفة لعدد من المشترين الأوروبيين، في حين ترفض بغداد بيع النفط لإسرائيل، مثلها مثل دول عربية أخرى.

وفي إسرائيل رفضت وزارة الطاقة التعليق قائلة إنها لا تتحدث عن المصادر الإسرائيلية من النفط. وفي العراق أفاد مسؤول كبيرة في وزارة النفط بأن بغداد ليس لديها معلومات عن المبيعات، لكنها تتحرى الأمر. وأضاف أن «هذا تطور خطير جدا.. طالبنا دوما المنطقة بالتوقف عن تهريب الخام العراقي بالشاحنات إلى تركيا، والآن إذا ثبت أن هذا صحيح فسيكون الأمر قد بلغ مبلغا بعيدا».

في نفس الوقت قال مسؤول بوزارة الموارد الطبيعية في كردستان من أربيل عاصمة الإقليم إن «الحكومة الإقليمية الكردستانية لم تبع نفطا خاما لمثل هذه الوجهات، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر».

وكالات

○○○

التضخم بسوريا ارتفع 173% في ثلاث سنوات

بلغت نسبة التضخم -منذ بدء الأزمة قبل ثلاثة أعوام- في سوريا 173%، مدفوعة بارتفاع أسعار المواد الغذائية والوقود.

وبحسب أرقام نشرها المكتب المركزي للإحصاء، فإن

مؤشر أسعار المستهلك لعام 2013 بلغ 387.94 نقطة في مقابل 142.1 نقطة لعام 2010، مما يعني ارتفاعا قدره 173%. وهذا المؤشر يقيس مقدار التبدل في أسعار سلة محددة من المواد الاستهلاكية الأساسية، ويساهم في تحديد نسب التضخم بين عام وآخر.

وأدى تضاعف أسعار العديد من المواد الغذائية إلى رفع نسبة التضخم خلال العام الماضي، فبلغت نسبة التضخم في أسعار الأغذية نحو 107%، والخبز والحبوب 115%، ونحو 100% في أسعار اللحوم والفواكه والبقول والخضار.

كما ارتفعت أسعار الكهرباء والغاز وأنواع الوقود الأخرى بنحو 118% خلال العام الماضي، في حين ارتفعت كلفة النقل بنحو 105%.

وكان رئيس الوزراء السوري وائل الحلقي أعلن في مارس/آذار الماضي أن أضرار الأزمة السورية المستمرة منذ ثلاثة أعوام، تجاوزت عتبة 31 مليار دولار.

وقد تحول الاقتصاد السوري إلى اقتصاد حرب، وباتت الأولوية فيه لتأمين المواد الأساسية كالوقود والغذاء، وسط تراجع في نشاط العديد من القطاعات الإنتاجية، إلا أن هذا الاقتصاد تفادى الانهيار رغم العقوبات الغربية على تصدير النفط الذي كان يشكل مصدر الدخل الأساسي للحكومة، وذلك بفضل عوامل عدة أبرزها دعم حليفتيه روسيا وإيران، واستقرار سعر صرف الليرة السورية رغم فقدانها ثلاثة أرباع قيمتها.

وكالات

○○○

دعوة لتوجه الجزائر نحو الاقتصاد الإسلامي

دعا اقتصاديون إلى اعتماد الاقتصاد الإسلامي مخرجاً لأزمة اقتصاد الجزائر والذي ما زالت تشكل المحروقات 98% من صادراته، وبرروا دعوتهم بإقبال الجزائريين على البنوك الإسلامية القائمة على اقتسام الربح والخسارة مع عملائها، في حين تعتمد البنوك التقليدية على نسبة الفائدة.

ويرى هؤلاء الاقتصاديون أن غياب قانون للبنوك الإسلامية وراء تأخر انتشارها في الجزائر، حيث يعارض التيار الفرنكفوني هذا الأمر بشدة.

وقال أستاذ الاقتصاد بجامعة البُليدة فارس مسدور في منتدى إعلامي نظمه الديوان الوطني للثقافة والإعلام الجزائري، إن البديل الناجع لخروج اقتصاد البلاد من أزمته هو أن يتجه نحو الاقتصاد الإسلامي، مضيفا أن «الاقتصاد الجزائري ليس اشتراكياً ولا رأسمالياً، ولو جُمعت الزكاة وأنفقت برشد لانتهى الفقر الذي يعيش فيه 30% من السكان، بل ولساعدنا دولا إسلامية فقيرة»، وقدر حجم الزكاة في الجزائر بنحو ثلاثة مليارات دولار سنوياً.

ودعا مسدور - هو خبير دولي في المالية الإسلامية ومعتمد لدى البنك الإسلامي للتنمية- إلى إصدار قانون للبنوك الإسلامية وإنشاء محاكم اقتصادية لمعالجة جرائم الفساد وفق قانون لمكافحة الفساد ما زالت الجزائر تفتقر إليه، على حد قوله.

وكالات

معالجات إسلامية

التوسط في العبادة

د. يوسف جمعة سلامة*

يقول الله تعالى في كتابه الكريم: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}(1).

جاء في كتاب مختصر تفسير ابن كثير للصابوني في تفسير الآية السابقة: وقوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}، يقول تعالى: إنما حَوَّلْنَاكم إلى قبلة إبراهيم عليه السلام، واخترناها لكم لنجعلكم خيار الأمم، لتكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم، لأن الجميع معترفون لكم بالفضل، والوسط هنا: الخيار والأجود، كما يُقال: قريش أوسط العرب نسباً وداراً أي خيرها، وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسطاً في قومه، أي أشرفهم نسباً، ومنه (الصلاة الوسطى) وهي العصر، ولمّا جعل الله هذه الأمة وسطاً خصَّها بأكمل الشرائع، وأقوم المناهج وأوضح المذاهب، كما قال تعالى: {هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ}، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «يُدعى نوح يوم القيامة فيُقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيُدعى قومه، فيُقال لهم: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير وما أتانا من أحد، فيُقال لنوح: من يَشْهدُ لك؟ فيقول: محمد وأمته، قال: فذلك قوله: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} قال: والوسط العدل فتدعون فتشهدون له بالبلاغ ثم أشهد عليكم». وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «يَجيءُ النبيُّ يوم القيامة ومعه الرَّجُلان وأكثر من ذلك، فيُدْعى قومه فيقال: هل بلَّغكم هذا؟ فيقولون: لا، فيُقال له: هل بَلَّغتَ قومك؟ فيقول نعم: فيُقال مَنْ يشهد لك، فيقول: محمد وأمته، فيُدعى محمد وأمته: فيُقال لهم هل بلَّغ هذا قومه؟ فيقولون: نعم، فيُقال: وما علمكم؟ فيقولون جاءنا نبينا فأخبرنا أن الرسل قد بلَّغوا، فذلك قوله عزّ وجلّ: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} قال: عدلاً {لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «أنا وأمتي يوم القيامة على كوم مشرفين على الخلائق، ما من الناس أحد إلاَّ ودَّ أنه منا، وما من نبي كذَّبه قومه إلا ونحن نشهد أنه قد بلَّغ رسالة ربه عزَّ وجلَّ»(2).

إن ديننا الإسلامي الحنيف دين عالمي، يدعو إلى عقيدة سمحة، وعبادة ميسرة، لا حرج فيها ولا مشقة، كما يدعو إلى التيسير وعدم التعسير، وإلى الرفق وعدم الحرج، فالرحمة جوهر رسالته، والوسطية عنوان دعوته، وهي تعنى الاعتدال في الأمور كلّها دون إفراط أو تفريط.

فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي

لقد سلك نبينا -صلى الله عليه وسلم- هذا المنهج الوسط في خطابه، وجعل ذلك سنته في دعوة الناس، ومما يدل على ذلك ما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك - رضي الله عنه- قال: «جَاءَ ثَلاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِن النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟ قَدْ غَفَرَ اللَّه لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّه -صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أَمَا وَاللَّه إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّه وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» (3).

وعند قراءتنا لهذا الحديث الشريف الذي بين أيدينا، نجد أنه يعالج الغلوّ والتشدد بشكل مُقْنع، فقد كان الدافع وراء غلوّ هؤلاء، أنهم رأوا اجتهاد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في العبادة، على الرغم من أنَّ الله قد غَفَر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأحسوا أنهم دون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بكثير، وقد ظهر هذا من قولهم: وأين نحن من رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟، وظنوا أنهم بتشددهم وغُلوّهم سيكونون أكثر قرباً من الله وتعبداً، فأزال النبي - صلى الله عليه وسلم - هذه الشبهة من تفكيرهم بقوله -صلى الله عليه وسلم-: «إنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّه وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي».

ونتعلم من الهدي النبوي وجوب التيسير على الأمة، كما جاء في قوله تعالى:{لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} (4)، فقد جاء في كتاب مختصر تفسير ابن كثير للصابوني: (قال تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ} أي منكم وبلغتكم، وقوله تعالى:{عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ} أي يعزّ عليه الشيء الذي يعنت أمته ويشق عليها، وشريعته كلها سهلة سمحة كاملة يسيرة على مَنْ يَسَّرَها الله تعالى عليه {حَرِيصٌ عَلَيْكُم} أي على هدايتكم ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم)(5).

مَنْ أَمَرَكَ أَنْ تُعَذِّبَ نَفْسَكَ؟

أخرج الإمام أحمد في مسنده عَنْ أَبِي السَّلِيلِ، قَالَ: حَدَّثَتْنِي مُجِيبَةُ -عَجُوزٌ مِنْ بَاهِلَةَ -عَنْ أَبِيهَا، أَوْ عَنْ عَمِّهَا، قَالَ: (أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِحَاجَةٍ مَرَّةً، فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَوَ مَا تَعْرِفُنِي؟ قَالَ: وَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا الْبَاهِلِيُّ، الَّذِي أَتَيْتَكَ عَامَ أَوَّلٍ، قَالَ: فَإِنَّكَ أَتَيْتَنِي وَجِسْمُكَ وَلَوْنُكَ وَهَيْئَتُكَ حَسَنَةٌ، فَمَا بَلَغَ بِكَ مَا أَرَى؟ فَقَالَ: إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَفْطَرْتُ بَعْدَكَ إِلا لَيْلا، قَالَ: مَنْ أَمَرَكَ أَنْ تُعَذِّبَ نَفْسَكَ؟ مَنْ أَمَرَكَ أَنْ تُعَذِّبَ نَفْسَكَ؟ مَنْ أَمَرَكَ أَنْ تُعَذِّبَ نَفْسَكَ؟ ثَلاثَ مِرَارٍ، صُمْ شَهْرَ الصَّبْرِ رَمَضَانَ، قُلْتُ: إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً وَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ تَزِيدَنِي، (قَالَ): فَصُمْ يَوْمًا مِنَ الشَّهْرِ، قُلْتُ: إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً، وَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ تَزِيدَنِي، قَالَ: فَيَوْمَيْنِ مِنَ الشَّهْرِ، قُلْتُ: إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً، وَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ تَزِيدَنِي، قَالَ: وَمَا تَبْغِي، عَنْ شَهْرِ الصَّبْرِ وَيَوْمَيْنِ فِي الشَّهْرِ؟ قَالَ: قُلْتُ: إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً وَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ تَزِيدَنِي، قَالَ: ثَلاثَةَ أَيَّامٍ مِنَ الشَّهْرِ، قَالَ: وَأَلْحَمَ عِنْدَ الثَّالِثَةِ، فَمَا كَادَ، قُلْتُ: إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً وَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ تَزِيدَنِي، قَالَ: فَمِنَ الْحُرُمِ، وَأَفْطِرْ) (6).

ومن خلال الحديث السابق وتوجيه النبي - صلى الله عليه وسلم - لهذا الصحابي، نتعلم وجوب التيسير على النفس وعدم التشديد عليها، لأن ديننا الإسلامي قد عُنِيَ عناية كبيرة برعاية الروح والجسد، فإن لنفسك عليك حقًّا، ولجسدك عليك حقًّا، فَصُم وأفطر، وصَلِّ ونَمْ، وهذا يعني: صُمْ وأفطر في بعض هذه الأيام، ومن الأشهر الحُرم التي لها فضل على غيرها من الشهور، ولا تُشَدِّد على نفسك، ولم يذكر بعد ذلك - صلى الله عليه وسلم - شيئاً لهذا الصحابي.

يَا مُعَاذُ... أَفَتَّانٌ أَنْتَ

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عَنْ عَمْرٍو عَنْ جَابِرٍ قَالَ: (كَانَ مُعَاذٌ يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثُمَّ يَأْتِي فَيَؤُمُّ قَوْمَهُ، فَصَلَّى لَيْلَةً مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْعِشَاءَ، ثُمَّ أَتَى قَوْمَهُ فَأَمَّهُمْ فَافْتَتَحَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ فَانْحَرَفَ رَجُلٌ فَسَلَّمَ، ثُمَّ صَلَّى وَحْدَهُ وَانْصَرَفَ، فَقَالُوا لَهُ: أَنَافَقْتَ يَا فُلانُ، قَالَ: لا وَاللَّهِ، وَلآتِيَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَلأُخْبِرَنَّهُ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا أَصْحَابُ نَوَاضِحَ نَعْمَلُ بِالنَّهَارِ، وَإِنَّ مُعَاذًا صَلَّى مَعَكَ الْعِشَاءَ ثُمَّ أَتَى فَافْتَتَحَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى مُعَاذٍ، فَقَالَ: يَا مُعَاذُ أَفَتَّانٌ أَنْتَ، اقْرَأْ بِكَذَا وَاقْرَأْ بِكَذَا، قَالَ سُفْيَانُ: فَقُلْتُ لِعَمْرٍو إِنَّ أَبَا الزُّبَيْرِ، حَدَّثَنَا عَنْ جَابِرٍ، أَنَّهُ قَالَ: اقْرَأْ {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا}، وَ{الضُّحَى}، {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى}، وَ{سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى}، فَقَالَ عَمْرٌو نَحْوَ هَذَا)(7).

يرشدنا رسولنا - صلى الله عليه وسلم - في الحديث السابق إلى ضرورة ألا يُؤَدِّي أَحَدُنا صَلاتَهُ بسرعة دون طمأنينة، ولا يُطيل بالمصلين إذا كان إماماً إطالةً تشقّ عليهم، بل عليه أن يؤدي صلاته بكامل أركانها مطمئناً بها خاشعاً لله، وألا يطيل بالناس.

إن التوسط والاعتدال مطلوب منّا في جميع مناحي الحياة، حتى نعيش حياة كريمة كما أرادها الله سبحانه وتعالى لنا، ومن المعلوم أن التشدد والغلوّ يُسيءُ إلى أصحابه وإلى المجتمع وإلى الأمّة كلّها، وحتى ننهض بحال الأمّة يجب علينا الاعتدال والتوسُّط في الأمور كلّها، وهذا أمرٌ منوط بحملة الدعوة والرِّسالة، لأنهم يستطيعون أن ينشروا الوعي بين المسلمين، وهذه هي مهمّتهم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

الهوامش:

-1 سورة البقرة الآية (143).
-2 مختصر تفسير ابن كثير للصابوني 1/136.
-3 أخرجه البخاري.
-4 سورة التوبة الآية (128).
-5 مختصر تفسير ابن كثير للصابوني 2/180.
-6 أخرجه أحمد.
-7 أخرجه مسلم .

* خطيب المسجد الأقصى المبارك
وزير الأوقاف والشئون الدينية السابق
www.yousefsalama.com

ما قل ودل

أ. محمد الصالح الصديق

يا حسرة على المسلمين

لست متشائما وليس من طبعي التشاؤم، بل إن هناك من يتهمني بالإسراف في التفاؤل، ومع ذلك أقول إن أكثر المسلمين اليوم لا يشرفون الإسلام، فهم لا يقومون إلا دليلا على أن الإسلام الذي يدينون به لم يؤثر فيهم شيئا، فجل الذي تعاملت معهم في مختلف مراحل حياتي يفهمون الإسلام مجرد عبادات صورية تؤدى، لا يضر معها، مخالفة الوعد، ونقض العهد، والغش والخداع، والكذب، والنميمة، وشهادة الزور، والبهتان.

استعملت بناء كان لا يتخلف عن الصلاة في المسجد وإذا تخلف عنها وقتا، ظل زمنا يتألم ويتحسر، ويرجو من الله المغفرة، ولكنه في بنائه محتال غشاش سراق.

استعارت مني كتابا قيما نادرا امرأة حجت بيت الله الحرام، وأقسمت لي يمينا مغلظة أن الكتاب سيكون عندي بعد أسبوع، وأن رسالة ابنها الجامعية متوقفة على هذا الكتاب، وشق علي أن أطلب منها الضمان، فذهبت بالكتاب ومضى الآن على يوم اقتراضه سبعة أعوام كل يوم بعام.

وحارس مدرسة يحرص على إقامة الصلوات الخمس، وقلما يفارقه المصحف تاليا للقرآن الكريم، ثم إنه يغيب عن الحراسة ساعات، ويتخلف عن موعدها، وإذا انتبهت لذلك مديرة المدرسة اختلق أعاذير وأقسم أيمانا مغلظة بأنه صادق في قوله.

ولحام قد حج واعتمر مرات، واشتهر في حيه بالمواظبة على الصلاة، وأنه بالخصوص لا يتخلف عن صلاة الفجر في المسجد، ثم إنه كان يعمل عند أحد الأساتذة فكان يأتي بولديه على أساس أنهما يساعدانه في العمل، ولكنهما لا يعملان، بل يظلان يتحدثان حتى إذا تناولا الغداء مع أبيهما ذهبا في حالهما.

ورجل ذو لحية طويلة كثيفة، وسمت ووقار، يفتأ يهلل ويحوقل فإذا رأيته خلته عالما، أو متصوفا وهو يمارس أعمالا تبوئه إلا مكانة مع إبليس في دار القرار.

هؤلاء أعرفهم وهم عينات لأمثالهم، لا يحصيهم العد، وهم يعدون من المسلمين.

إن أكثر المسلمين، مسلمون بلا إسلام، إذا تحدثوا عن الإسلام، أو مارسوا عباداته خلتهم بلغوا القمة في الوعي والإدراك، وأنهم خير خلف لأولياء الله المقربين، ولكنك إذا اختبرتهم وتعاملت معهم خاب ظنك فيهم، ورثيت للإسلام الذي ينتمون إليه خطأ.

إننا من حين لآخر نسمع بشخص من أهل العلم والمعرفة، يعتنق الإسلام بعد أن درسه وتعمق فيه وأدرك جماله وجلاله، وأنه الدين الوحيد الصحيح الذي يسعد به المرء في الدارين، ولو رأى هؤلاء المسلمين قبل أن يعرفوا الإسلام، لما أسلم واحد وأخذ منهم «فيا حسرة على المسلمين».

من أفواه الرجال

قال الإمام محمد البشير الإبراهيمي:

"غاية الغايات من التربية- هي توحيدُ النشء الجديد في أفكاره ومشاربه، وضبط نوازعه المضطربة، وتصحيح نظراته إلى الحياة، ونقلُهُ من ذلك المُضْطَرَبُ الفكري الضيّق الذي وضعه فيه مجتمعه- إلى مضطرب أوسَعَ منه دائرةً، وأرْحَبَ أُفُقًا، وأصحَّ أساسًا، فإذا تمّ ذلك وانتهى إلى مدَاهُ طمعْنَا أن تُخْرِجَ لنا المدرسة جيلاً متلائِمَ الأذواق، متّحِدَ المشارب، مضبوطَ النزعات، يَنْظُرُ إلى الحياة- كما هي- نظرةً واحدةً، ويَسْعَى في طلبها بإرادة متحدة، ويعمل لمصلحة الدين والوطن بقوة واحدة، في اتجاهٍ واحدٍ".

الشيخان

أ. محمد الهادي الحسني

لا أقصد بالشيخين ما قصده الدكتور طه حسين - غفر الله له- في كتابه الذي يحمل هذا العنوان، فهو يعني بالشيخين صاحبي رسول الله - عليه الصلاة والسلام- أبا بكر الصديق وعمر الفاروق - رضي الله عنهما، ولا أقصد الشيخين في اصطلاح المحدِّثين، وهما الإمامان البخاري ومسلم، صاحبا الصحيحين، ولكنني أعني بالشيخين الإمامين الجليلين عبد الحميد ابن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي، جعل الله اسميهما للخلود وروحيهما للخلد.

وكما كان للشيخين الأولين - أبي بكر وعمر- الأثر الأكبر في شد عضد رسول الله - عليه الصلاة والسلام- والتمكين لدين الله، والبلاء الحسن في سبيله، وفي حفظ كتاب الله، وفي وضع أسس الأمة الإسلامية، وتوسيع رقعة دولتها، وكان لشيخي المحدثين - البخاري ومسلم- الأثر الأوفر في جمع سُنّة خير البشر، عليه الصلاة والسلام، وتبويبها، كان لشيخي الجزائر النصيب الأظهر في بعْث الشعب الجزائري من مرقده، وتنبهيه من غفلته، وإقالته من عثرته، وهديه من ضلالته، وإقامة أسس نهضته.

ألم يشهد الكاتب السياسي الفرنسي جان لاكوتير «أن مجدّدي فكرة الوطن الجزائري هم بالأحرى هؤلاء الذين أسسوا جمعية العلماء، أي الشيخ ابن باديس وأشدّ أتباعه حماسة كالشيخ الإبراهيمي» ألم يقل المفكر الفرنسي روجي غارودي «.. فالشيخ الإبراهيمي هو الذي انتهج مع الشيخ ابن باديس منهج التجديد في الجزائر.. من الناحية الدينية، والسياسية، والثقافية؟» حيث كانا «كالشعلة التي ثبّتت في الجزائر ثورتها الثقافية، تلك الثورة التي مكّنت الشعب الجزائري من نيل استقلاله، ومكنته من استرجاع هويته العربية الإسلامية؟»

وقد تعمّدتُ الاستشهاد بهذين الفرنسيين حتى لا يقول جاحد أو حاسد إننا ننظر إلى الإمامين بعين الرضا، وأننا نحمدهما بما لم يفعلا، ونمدحهما بما لم يعملا.

اللقـــاء المبـــارك في الأرض المبـــاركـــة

خطّت الأقدار في صحيفة الإمام الإبراهيمي أن يهاجر إلى المدينة المنورة في عام 1911 طلبا للعلم الذي حرمته فرنسا على الجزائريين، وقدّر الله -عز وجل- أن يذهب الإمام ابن باديس إلى الحجاز في عام 1913 لأداء فريضة الحج، فالتقيا هناك على قدر، وقضيا معا ثلاثة أشهر، لا يفترقان إلا ساعة من نهار، وهناك في طيبة الطيبة تعاهدا - بعدما تدارسا حال الجزائر - على أن يعملا جهدهما لإخراجها مما هي فيه، رغم يقينهما بصعوبة ذلك العمل وخطره.

رجع الإمام ابن باديس إلى الجزائر، أخذا بنصيحة الشيخ حسين أحمد الهندي بعدم البقاء في الحجاز، وتأخرت عودة الإمام الإبراهيمي إلى الجزائر حتى عام 1920، ومن شدة فرح الإمام ابن باديس بعودة الإمام الإبراهيمي، سارع إلى لقائه بتونس «مهنئا لي، ولنفسه، وللوطن، ومذكّرا بعهود المدينة المنورة، ومبشرا بمواتاة الأحوال، وتحقق الآمال» (آثار الإمام الإبراهيمي ج5.ص140). إنني كثيرا ما أقارن بين أثر لقاء الإمامين ابن باديس والإبراهيمي، وبين أثر لقاء العالمين محمد بن تومرت وعبد المؤمن بن علي، سواء في المجال الديني، أو في الميدانين الاجتماعي والسياسي، مع مراعاة الفروق الزمانية، والشخصية، والفكرية.

تقدير متبادل لا أعرف شخصين من الحركة الوطنية الحضارية ائتلف قلباهما، وتحابّا في الله، ولم يسمحا لشيطان الجن أن ينزغ بينهما، ولم يمكّنا شياطين الإنس أن يفرقوا بينهما كالإمامين ابن باديس والإبراهيمي، فقد عاشا - منذ تعارفا- أخوين أخوة الإسلام، الخالية من الأسباب المادية، البريئة من المآرب الشخصية، فقد أظهر كل منهما ما يكنّه لأخيه من المودة والاحترام والتقدير، ولم تكن تلك المودة، ولم يكن ذلك الاحترام والتقدير رياء منهما ومجاملة بينهما، «وما كان مبنى الأمر بيننا - ما عشنا- على الرياء والمجاملة».

لقد تأملت كثيرا في أسباب هذه المودة بين الإمامين، وعناصر التقدير بينهما فانتهيت إلى أنها ترجع إلى جملة من الصفات حَلّيا بها، وهي:

1 **العلم الراسخ**

فقد وهبهما الله من فضله سعة في العلم، ودقة وعمقا في الفهم، وسدادا في الرأي، وجِدّة في البصر، ونورا في البصيرة، وبلاغة في البيان، وطلاوة في اللسان، وقد علّق الإمام ابن باديس على درس في التفسير سمعه من الإمام الإبراهيمي قائلا: «إن هذا الدرس وحده كاف لإحياء أمة مستعدة». فرد عليه الإمام الإبراهيمي بقوله: «وأين هذا الوَشْلُ من ذلك البحر».

وقد تعددت أوصاف الإمام ابن باديس لأخيه الإمام الإبراهيمي وإعجابه بعلمه الواسع، ونبوغه الذائع، فقد وصفه بأنه «فخر علماء الجزائر» وبأنه «الكاتب النابغ، والمحاضر العبقري، والداهية الهادئ مُحيي تلمسان» كما وصفه بـ «الحكيم».

وجلى تقدير الإمام ابن باديس لعلم الإمام الإبراهيمي وثقته في كفاءته في عهده إليه في عام 1924 بوضع القانون الأساسي لجمعية الإخاء العلمي، وبوضع برنامج جامع لكلية إسلامية لتخريج علماء اختصاصيين كامِلي الأدوات في فهم الدين، وفقه أسرار الشريعة، ومعرفة طرائق الدعوة والإرشاد، والخطابة، والأخلاق، واللسان العربي، مع المشاركة في علوم الحياة، وباصطفائه للإشراف على العدد المزدوج (4 - 5 من المجلد 14) من مجلة الشهاب، الخاص بأهم حادث علمي، وهو الاحتفال بختم الإمام ابن باديس تفسير القرآن الكريم، وقد اعتبر الإمام ابن باديس ما جاء في ذلك العدد «آية بينة من آداب الإبراهيمي». وبلغ تقديرهما لبعضهما في المجال العلمي قِمّته في قول كل منهما لصاحبه بُعَيْد وفاة الإمام محمد رشيد رضا، وحسرهما على انقطاع تفسيره الذي كان ينشره في مجلة المنار: «ليس لإكماله إلا أنت». وكان البادئ بالقول هو الإمام الإبراهيمي.

وأما تقدير الإمام الإبراهيمي لعلم الإمام ابن باديس فقد عبّر عنه في عدة مناسبات وفي عدة مقالات لا يتسع المجال لإيرادها، وأجمل ما في هذا التقدير - إضافة إلى قوة التعبير، وروعة التصوير، ورشاقة التحرير - أنه جاء بعد وفاة الإمام ابن باديس، وهذا مما يدل على نبل معدن الإمام الإبراهيمي، وسُمو نفسه، وعظمة شخصيته، لأن العادة قد جرت على أنّ من يخلف شخصا في رئاسة ما يستثقِل سلَفَه، ويَلْمِز شخصه، ويُهوّن شأنه، ويُنسي اسمه، ويستنقص قدره.

لقد اعتبر الإمام الإبراهيمي أخاه ابن باديس «أعلم علماء الشمال الإفريقي». وأسِف «أن تستأثر الجزائر وحدها بتلك المجموعة البادِيسية من فكر ثاقب، ورأي أصيل، وعلم غزير، ولسان مبين، وأن لا يكون لبقية الأقطار الإسلامية منها حظ... وأن يبقى هذا العلم محصورا في الجزائر». لأن الإمام الإبراهيمي كان يؤمن أنه بعد وفاة محمد رشيد رضا قد «انتهت إمامة التفسير في العالم الإسلامي كله إلى أخينا وصديقنا ومنشئ النهضة العلمية بالجزائر، بل بالشمال الإفريقي عبد الحميد ابن باديس».

2 **الإخلاص**

إن كثيرا من الناس يقومون بأعمال كثيرة، ولكنهم يُعَدّون من الأخسرين أعمالا، لأنهم راءوا الناس بها، ولم يعلموا ما عملوه لوجه الله، وإنما لدينا يصيبونها، أو لشهرة يحوزونها، أو لمآرب ينالونها، ولو أراد الإمامان الدنيا ومتاعها، وأحبا العاجلة لسكنا العالي ولبسا الغالي، ولكنهما انتقلا من الفانية إلى الباقية ولم يملكا سَخُلَة ولا نخلة، وكان «اجتماعنا لله، ولنصر دين الله، ولتأدية حق الله في عباده، دأبنا في ذلك التعاون على الخير، والاستباق إلى الخير، فلا مجال للمنافسة وحظ النفس». إننا لا نزكي على الله أحدا، ونؤمن أن الإخلاص لا يعلمه إلا الله، ولكن صالح المؤمنين رأوا شواهد الإخلاص في هذين الإمامين، وشهدوا عليه، و «قد وجبت» شهادتهم، كما جاء في حديث رسول الله - عليه الصلاة والسلام - و«شهود الدنيا هم شهود الآخرة»، كما يقول مثلنا الشعبي.

3 **العمل الدائب**

كان الإمامان مضرب المثل في كثرة العمل، حتى إنه ليمكننا أن نقول فيهما إنه لم يسبقهما فيه سابق، ولم يلحقهما لاحق، فقد شهد الشيخ مبارك الميلي - رحمه الله - أن الإمام ابن باديس كان «يباشر خمسة عشر درسا يوميا» وشهد الشيخ أحمد بري - رحمه الله - وهو من تلاميذ الإمام الإبراهيمي، أن هذا الأخير «كان يلقي ثلاثة عشر درسا في كل يوم». ويضاف إلى ذلك ما كانا يُدَبّجانِه من مقالات، وما يلقيانه من محاضرات، وما يقومان به من رحلات واتصالات تأتي على ما بقي من الأوقات. وإذا كان هناك تقصير في العمل من هذين الإمامين فهو تقصير في حق نفسيهما، وتقصير في حق من له حق عليهما من الصاحبة والولد.

4 **الوطنية الصادقة**

ما أكثر أدعياء الوطنية في كل زمان ومكان، وما أقل الوطنيين الصادقين، لأن الوطنية الحقة مشقة، والمشقة - كما قال المتنبي:

لولا المشقة ساد الناس كلهم

الجود يفقر والإقدام قتال

فمن الناس من رَكِب «الوطنية»، ومن الناس من حَمَلَ الوطنية.

لقد برهن الإمامان - وأمثالهما - عمليا على صدق وطنيتهما، ألم يكن في مُكْنَتِهما أن يشرّقا أو يغرّبا ويعيشا لنفسيهما؟ ألم يكن في مُكْنَتِهما أن يركنا - كما ركن غيرهما من هم دونهما علما - إلى العدو فيسلما من مطاردته وينالا مرضاته؟ ألم يكن في مُكْنَتِهما أن يلوذا بالصمت ويُلقيا المعاذير؟ لقد رفضا ذلك كله، وكان شعارهما، وأمثالهما، قول الإمام ابن باديس: «ورجعنا للوطن بقصد خدمته، فنحن لا نهاجر، ونحن حراس الإسلام، والعربية، والقومية بجميع مُدعِّماتها في هذا الوطن».

ألم يجعل الإمام ابن باديس شعار جريدته المنتقد «الحق فوق كل أحد، والوطن قبل كل شيء»؟ ألم يكتب الإمام الإبراهيمي مخاطبا الجزائر «ويمينا لو تبرّجَت ليَ المواطن في حُلَلِها، وتطامنت لي الجبال بقُلَلِها لِتَفْتِنَني عنك لما رأيت لك عديلا، ولا اتخذت بك بديلا»؟ وكيف تفتنه الأوطان وهو «يعتقد أن في كل جزيرة قطعة من الحسن وفيك الحسن جميعه، لذلك كنّ مفردات وكنت جمعا، فإذا قالوا «الجزائر الخالدات» رجعنا فيك إلى توحيد الصفة وقلنا «الجزائر الخالدة»، وليس بمُستنكر أن تجمع الجزائر كلها في واحدة».؟

ومع ذلك، فلم يملك أحد منهما من أرضها شبرا، ولم يحوزا من ثراها إلا قبرا، ولقد راودتهما فرنسا عن مال وسلطان، فاستعصما، وقال أحدهما: والله لو وضعوا الشمس في يميني... ما تركت الجمعية، وقال الآخر: السجن أحب إلي، وأهون علي من قول كلمة طيبة في فرنسا. لقد لامني أحد الإخوة لأنني أكثر من الإشادة بهذين الإمامين في أحاديثي وكتاباتي، وتساءل: أليس في الجزائر غيرهما؟ فقلت لمن أبلغني عتاب هذا الأخ الفاضل: لست بالجاهل غيرهما من علمائنا ورجالاتنا، ولست بالباخس أشياءهم، ولكنني لست ممن يفضلون المفضول على الفاضل، ولا الفاضل على الأفضل. ولم أجد فيمن درستُ سِيَرهم وأعمالهم لهذين الإمامين مثيلا، ولم ألق لهما عديلا. أفَألامُ - بعد هذا - إن أشدت بهما، وكررت ذكرهما، وحثثت على الاقتداء بهما في العلم، والعزم، والوطنية، ونكران الذات؟ ولكل نصيب مما كسبوا. ورحم الله الإمامين، وجميع العاملين المخلصين، ورزقنا صدق الأقوال وإخلاص الأعمال.

الإمام محمد البشير الإبراهيمي كما عرفته

الشيخ محمد الغزالي

نقدم لقراء البصائر هذه الشهادة التي أدلى بها الشيخ محمد الغزالي- رحمه الله -في حق الإمام اللغوي محمد البشير الإبراهيمي. وهذا المقال المعنون بـ «مع الإبراهيمي في القاهرة» نشرته مجلة الثقافة الجزائرية، في عددها 87، الصادر في ماي 1985.

«كانت القاهرة- لأكثر من ثلث قرن مضى- ملتقى عدد من المجاهدين الكبار يجيئون إليها في ظل عقيدة جامعة، وأخوة وثيقة، ولغة مشتركة، وآمال واحدة.

وكان المسلمون ينظرون إلى الزعماء القادمين نظرة حب جارف وإعزاز بالغ، كانوا يرون النّظر في وجوههم عبادة، والحديث معهم والأنس بهم قربى إلى الله.

أذكر من هؤلاء الحاج محمد أمين الحسيني مفتي فلسطين الأكبر، وقائد جهادها الأول، زارني يومًا في وزارة الأوقاف- وكنت مسؤولاً عن المساجد- فزكّى بعض المشروعات التي أقوم بها، ورسم لي طريق إنجاحها، وشعرت كأنه يعد نفسه مسؤولاً عن مستقبل الإسلام في مصر، فهو يهتم به اهتمامي أنا به أو أكثر، ولا عجب فدار الإسلام واحدة وإن اختلفت منابت الأفراد.

وأذكر من أولئك الزعماء اللاجئين إلى القاهرة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي. عرفته، أو تعرفت إليه، في أعقاب محاضرة بالمركز العام للإخوان المسلمين ... كان لكلماته دوي بعيد المدى، وكان تمكنه من الأدب العربي بارزًا في أسلوب الأداء وطريقة الإلقاء، والحق أن الرجل رُزق بيانًا ساحرًا، وتأنقًا في العبارة يذكرنا بأدباء العربية في أزهى عصورها. لكن هذا ليس ما ربطنا به أو شدَّنا إليه- على قيمته المعنوية- إنما جذبنا الرجل بإيمانه العميق، وحزنه الظاهر على حاضر المسلمين، وغيظه المتفجر ضد الاستعمار، ورغبته الشديدة في إيقاظ المسلمين ليحموا أوطانهم ويستنقذوا أمجادهم، وخُيّل لي أنه يحمل في فؤاده آلام الجزائريين كلهم وهم يكافحون الاستعمار الفرنسي، ويقدمون المغارم سيلًا لا ينقطع حتى يحرروا أرضهم من الغاصبين الطغاة، وكان في خِطاباتِهِ يزأر كأنه أسد جريح، فكان ينتزع الوَجَل من أفئدة الهيابين ويُهيّج في نفوسهم الحمية لله ورسوله، فعرفت قيمة الأثر الذي يقول: "إن مداد العلماء يوزن يوم القيامة بدم الشهداء".

إن الخطيب أو الكاتب يوم يستمد توجيهاته من قلبه ويصبها في نفوس تلامذته إنما يُكوّنُ فيالق من أولي الفداء، ويصنع قذائف حية من رجال ينسفون الباطل نسفًا، وذلك ما أحسسناه ونحن نستمع إلى الشيخ البشير الإبراهيمي في القاهرة، فعرفنا لماذا ضاق به الفرنسيون وطاردوه، ومن ثَمَّ قررنا الالتفاف به والاستمداد منه.

ومن الخطأ تصوُّرُ أن الشيخ الكبير كان خطيبًا ثائرًا وحسب ... لقد كان فقيهًا ذكي الفكرة بعيد النظرة. ووقع لي معه حوار في مسألتين طريفتين. قال لي مرة: لعلك قرأت في السيرة الشريفة أن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما كانوا ينصرفون عن مجلسه إلَّا على ذَوَاق- وزن جمال-. قلت: نعم. قال: فما الذواق الذي ينالونه في مجلسه؟ فتَرَيَّثْتُ قليلاً ثم أجبت: لعلهم كانوا يتناولون بعض الأطعمة أو الأشربة كما يقع في عصرنا هذا عندما تُقَدَّم للأضياف والوافدين أقداحًا من الشاي أو غيره ... قال لي: ظننتك أفضل من أن تجيب هذه الإجابة الساذجة، أذلك شيء ينوّه به الأصحاب الكرام؟ قلت في تلهف: فما هذا الذواق الوارد في السنة؟ قال: إنه تذوق أرقى، ألا تذكر الحديث الشريف: «ذاق حلاوة الإيمان من رضي بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا ورسولا». إن المجلس النبوي تظلله الحكمة، ومقام النبي فيه ترقيق القلوب، ورفع المستوى، وتخليص الروحانية من شوائب الأرض، وجعل البشر في مصاف الملإ الأعلى ... فما ينصرف أحد عن هذا المجلس الزكي إلا وقد تذوق نازلًا من السماء، ولا يعود إلى أهله إلا بذخر يعليه ويعليهم. الحق، إن هذا المعنى كان جديدًا علي، غير أني شعرت بأنه الحق، وأنه أولى كثيرًا من تفسير الذواق بأنه طعام أو شراب ...

وسألني مرة: ما تقول في هذه الذبائح التي تملأ ساحات مِنًى، يتحلل بها الحجاج والعامرون من مناسكهم؟ فلم أدر ما أقول، كل ما استطعت أن أجيب به أنها من شعائر الحج والعمرة قربة إلى الله وطعمة للفقراء، وفي الآية (لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ). قال: ليتَ الحجيج يحققون هذه الغاية فيأكلون ويتصدقون ويفرح بصنيعهم البائسون الفقراء، إنهم يذبحون ويدعون ذبائحهم على الثرى لا يقربها إنس ولا وحش، فتضيع سدى، وقد نُهينا عن إضاعة المال. حبذا لو وضعت خطة للإفادة من هذا الخير المبذول وتعميم النفع به ... وما تمناه الشيخ البشير الإبراهيمي نفذ بعد ثُلُث قرن، فقد عرفت الآن أن ما يذبح يكون بقدر حاجة الفقراء، والباقي يوجه لسد ثغرات الجوع، والجفاف في أماكن أخرى ... وهذا هو الفقه الصحيح وحسن التصرف في تنفيذ أحكام الشرع الشريف.

كان لقاؤنا بالشيخ البشير الإبراهيمي مصدر متعة أدبية وعلمية جعل أدباء القاهرة وعلماءها يهرعون إليه ويتزاحمون عليه، ولكن الرجل كان يشرد بين الحين والحين، فنحس أنه معنا وليس معنا، كان جسمه معنا وقلبه معلقًا بالجزائر يتحسس أبناءها، ويتبع العراك الدائر بين الإسلام والصليبية في هذه القطعة الغالية من دار الإسلام، وكنت أشعر بأنه يكتب إلى رجاله أو المسؤولين عن الكفاح الجزائري يشير عليهم بالرأي ... وأستطيع الجزم بأنه ما ضعف يومًا ولا استكان ولا يئس من روح الله، ولا شك في أن الله ناصر جنده، ومعز المجاهدين المسلمين.

وهناك أمر لا يعرفه الكثيرون، لقد حاول أن يسد الفجوة بين جماعة الإخوان ورجال الثورة المصرية، فإن الفريقين يقدرونه ويصغون إلى نصحه، ولكن الشر كان قد تفاقم بين الفريقين وعزَّ على العلاج، فتوقف محزونًا. وظل الشيخ البشير، ومعه بعض الجزائريين يرتبون الأمور بين القاهرة الموالية للمجاهدين، وبين أرض المعركة التي احتدم فيها القتال وتضاعف الشهداء، ولا أنسى من بين أصحاب الشيخ الأخ الفضيل الورتلاني الذي زاملني في الدراسة وأنا في تخصص الدعوة والإرشاد قبل مجيء الإبراهيمي ببضع سنين، وكان الشيخ الفضيل عملاقًا في مبناه ومعناه ورجلًا له وزنه، وكان يتبع الشيخ البشير على أنه تلميذ وفي له، ويتعاونان على نصرة القضية الجزائرية بكل ما لديهما من طاقة ... قال لي الشيخ البشير: إنكم بليتم بالاستعمار مثل ما بلينا، وشعرتم بضراوته مثل ما شعرنا، لكنكم لا تعرفون أن ما أصابنا نوع شاذ من الاستعمار يشبه السرطان من بين أنواع العلل المهلكة، إنه كان يريد محو شخصيتنا وعقيدتنا ولغتنا وتاريخنا وحاضرنا ومستقبلنا، ومن المستحيل الإبقاء عليه أو البقاء معه، إن معنى ذلك الموت الخسيس، وأولى بنا أن نموت جميعًا في ميادين الكفاح والتضحية من أن نموت على هذا النحو الذي يراد لنا ...

والجزائري إذا غضب تحول إلى شخص آخر، وقد كنت ألمح تغيرًا عضويًا في وجهه بل في كِيانِه كله عندما يتحدث عن ضرورة الجهاد إلى آخر رمق وعن ضرورة بقاء الجزائر مسلمة تتكلم بلغة الوحي وتحل العربية محل الفرنسية. (وها قد نصر الله الجزائر، ونضر وجوه المجاهدين وعاد الدخيل من حيث جاء، واندحر أتباعه وأعوانه). فأدبروا ووجوه الأرض تلعنهم ... كباطل من خلال الحق منهزم ومعرفتي بالشيخ البشير الإبراهيمي تجعلني أتساءل عن حدود الوفاء للقيم والمبادئ التي عاش من أجلها ومات في سبيلها؟. إني أتخيله حيًا، وأتصور أنه يسمع رجلاً يرطن بالفرنسية، ما أحسبه يتركه دون تقريع وتعنيف بالغين. وله الحق في غضبه فإن الاستعمار العسكري ذَنَبٌ والاستعمار الثقافي هو الرأس، والحية لا تموت بقطع ذَنَبِها، بل الأمر كما قال الشاعر:

لَا تَقْطَعَنْ ذَنَبَ الأَفْعَى وَتَرْسِلَهَا

إِنْ كُنْتَ شَهْمًا فَأَتْبِعْ رَأْسَهَا الذَّنَبَ

وعلى الجزائر أن تحرر ثقافتها من التبعية كما حررت أرضها من الاستعمار، والخطوات البطيئة في هذا المضمار لا ترضي شهداءها الأبرار، بل البدار البدار، لنتأكد الانتصار، وتتضاعف الثمار.»

ملاحظة:

تشكر هيئة التحرير الأستاذ جمال قاسم الذي امدها بهذا المقال مرقونا .

الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في باكستان (1952)

أدب الرحلة يعد من الفنون الأدبية النثرية القيّمة، التي تكشف لنا عن الكثير من الأسرار الخاصة بالشعوب التي يزورها الناس، والنثر الجزائري الحديث والمعاصر زاخر بهذا النوع الأدبي، إلاّ أنّه لم ينل بعد حظه الكافي من الدراسة والتحليل، واستكشاف مميزاته وخصائصه وفي هذه الوقفة لن نتناول هذا الفنّ بالدراسة، بل سنحاول استعراض إحدى الرحلات التي خلفها لنا أحد رجالات الجزائر البارزين، و الذين ساهموا في صنع تاريخ الجزائر المعاصرة وهو الشيخ محمد البشير الإبراهيمي.

أ.د إبراهيم لونيسي*

الشيخ الإبراهيمي قام بالعديد من الرحلات حيث زار خلالها العديد من الأقطار وخاصة الإسلامية منها مثل مصر والعراق والجزيرة العربية، كما أنّه زار فرنسا، و سجل لنا بعض هذه الزيارات بشكل مفصل، والبعض الآخر أشار إليها إشارات خفيفة في بعض مقالاته التي كان يزين بها جريدة (البصائر) لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي كان رئيسا لها.

ومن بين هذه الزيارات التي فصل فيها تفصيلا وافيا تلك التي قام بها إلى باكستان، ونشرها في جريدة البصائر على امتداد ستة حلقات،بدءا من العدد الصادر يوم 23 جوان 1952 إلى غاية العدد الصادر يوم 15 سبتمبر 1952، والتي أعيد نشرها في الجزء الرابع من الكتاب القيم الذي يضم بين دفتيه كلّ أثار شيخنا.

لقد بدأ رحلته هذه بخروجه من الجزائر يوم الجمعة 7 مارس 1952، وودعه في المطار ثلة من رجالات الجمعية منهم العربي التبسي وأحمد توفيق المدني ومحمد خير الدين إلى جانب ابنه أحمد الإبراهيمي. وكانت باريس أول محطة توقف فيها حيث كان في استقباله في المطار المحاميان عياش ابن عجيلة وأحمد بومنجل بقي هناك يومين، ومن باريس توجه إلى روما رفقة المحامي أحمد بومنجل على متن القطار، ومنها توجه إلى مصر في ليلة الاثنين 9 مارس ليصلها بعد أربع ساعات في السماء، ولم يجد أحدا في المطار من أعضاء الجمعية في مصر بسبب الأحكام العرفية القاضية بمنع التجول بعد العاشرة ليلا- و التي فرضت بعد حريق القاهرة الذي تمّ ليلة 25، 26 فبراير 1952.

ويقول: «فتوليت الإجراءات القانونية بنفسي وهي كثيرة معقدة استغرقت ساعتين من الزمن ثم ذهبت مع المسافرين في سيارة الشركة المرخص لها إلى الفندق المرخص له وهو فندق هليوبوليس بمصر الجديدة، وأنا على يأس من لقاء الجماعة في تلك الليلة، فما راعني إلاّ وهم مجتمعون في فناء الفندق ينتظرونني لا يبرحونه حتى إلى المدخل الخارجي لأنّ ذلك يعد تجوّلا ممنوعا». إن الشيخ البشير الإبراهيمي يعطي لنا في هذه الفقرة صورة مختصرة عن الأوضاع التي كانت تعيشها مصر عشية ثورتها التي أطاحت بنظام الملك فاروق الذي طرد من مصر يوم 26 يوليو 1952 أي بعد نجاح الثورة بثلاث أيّام فقط.

وفي اليوم الموالي انتقل الشيخ إلى فندق «جزيرة بالاص»،حيث حجزت له هناك غرفة من مكتب الجمعية بالقاهرة . إضافة إلى مكتب للاستقبال فيه جهاز تلفوني . ولقد مكث في القاهرة مدّة تسعة أيّام، بعد أن كان من المقرر أن لا يبقى فيها سوى يومين فقط، ثم يتوجه بعدها إلى باكستان.

أمّا عن السبب الذي جعله يذهب إلى باكستان فهو من أجل المشاركة في (مؤتمر العالم الإسلامي القديم) ولقد وصلها في 20 مارس وأول شيء جلب انتباهه فوصفه لنا هو مطار كراتشي «هو مطار عظيم واسع مستكمل لجميع المرافق والشروط وقد أصبح ذا أهمية عظيمة في وصل الشرق بالغرب وهو يبعد عن المدينة بنحو ثمانية عشر كيلومتر (ص:34).ووجد في استقباله كلاّ من الحاج محمد أمين الحسيني مفتي فلسطين، والأستاذ عمر بهاء الدين الأميري وزير سوريا المفوض بباكستان، والفضيل الورتلاني.

ومن المطار توجهوا إلى فندق «ميتروبول» أكبر فنادق باكستان كلّها ويسجل لنا ملاحظة هامّة جدا تتمثل في أنّ كراتشي عاصمة باكستان كانت تفتقر للفنادق فليس فيها من فنادق الدرجة الأولى إلاّ اثنان . وبقية الفنادق من الدرجة الثالثة والرابعة . والسبب في ذلك أنّ عمرانها المدني جديد وكانت هذه المدينة قبل الانفصال- أي انفصال باكستان عن الهند سنة -1948 عبارة عن ميناء تجاري تربطها بالهند كلّه سكّة حديدية مزدوجة وبعد الانفصال رأي بطل الانفصال محمد علي جناح وصحبه أن تكون هي العاصمة لوقوعها على البحر ولبعدها عن الحدود الهندية.

وسرد علينا أسماء بعض الشخصيات المسلمة العربية وغير العربية التي قابلها في الأيّام الأولى لوصوله إلى كراتشي، ومن بينها عبد الوهاب عزام سفير مصر، وأبو بكر حليم مدير الجامعة وسفير دولة سيلان وهو مسلم «مع أن المسلمين في سيلان لا يجاوزون بضع مئات من الآلاف في سبعة ملايين من الوثنيين، وقد رغبني في زيارة سيلان، فأخبرته أنها في برنامج رحلتي، ففرح وعرض علي التسهيلات اللازمة».

بدخول الاستعمار الانجليزي إلى الهند وقضائه على الإمارات المغولية يقول الإبراهيمي حلت لغته محل اللغة الأوردية، والتي هجمت عليها الكثير من الكلمات الانجليزية وأصبح من الصعب جدا إزالة هذه الكلمات الدخيلة، ويرى شيخنا أنّ السبب في ذلك يعود : «... لتهاون المتكلمين بالأوردية دخلا عظيما في إقرار تلك الكلمات الانجليزية وتمكينها كما أنّ في لغتهم خميرة من القابلية لذلك لأنّها مبنية على التلفيق». وبعد الاستقلال أصبحت الأوردية هي اللغة القومية وطغت على الكثير من اللغات الإقليمية، ولكن رغم ذلك فإنّ الحكومة الباكستانية بعد الانفصال اتخذت من الانجليزية اللغة الرسمية لها، بالرغم من وجود طائفة تنادي بضرورة جعل اللغة الأوردية هي اللغة الرسمية، ولكن تعدد اللغات في باكستان جعلها تدخل في بحر من الصراعات اللغوية فكلّ طرف يريد أن يفرض لغته فسكان البنغال الذين يقطنون باكستان الشرقية- والتي انفصلت فيما بعد عن باكستان وذلك في جانفي 1972 والتي سمت نفسها ببنغلاديش- يريدون التحدث بلغتهم البنغالية، والأوردية غير شائعة لديهم، وسكان إقليم السند يفضلون لغتهم السندية، ولكن أهمّ ما يمكن ملاحظته هنا أنّ هذه الأطراف كلّها لا تمانع في أن تكون اللغة العربية هي اللغة الرسمية ولكن العقبة في ذلك هو وجود طائفة موالية للاستعمار الانجليزي لا يريدون أن تكون للعربية سيادة في باكستان وبالتالي تزداد الروابط بينها وبين الأمّم الإسلامية.

وبعد هذا السرد التحليلي لقضية اللغات الموجودة في الهند ينتقل بنا إلى الحديث عن الصعوبات الكثيرة التي واجهته في ميدان اللغة لأنّ الزائر لباكستان في تلك الفترة على الأقل يجب أن يكون عارفا بإحدى اللغتين الأوردية أو الإنجليزية، ولكنّ الإبراهيمي كان جاهلا للغتين، فيصف لنا بعض المواقف التي واجهته مع بعض الباكستانيين بسبب هذا الجهل فيصف لنا بعض المواقف التي لا تخلو من الطرافة: «...وأطلب الخادم لحاجة فيسكت واسكت وألتجئ إلى الإشارة فلا تفيد، ويهتف التليفون من سائل... فيبدأ الخطاب بالإنجليزية فأقول لا أفهم، فيثني بالأوردية لأنّه فهم بالقوّة أي لا أفهم الانجليزية فأقول:» لا أفهم، فيكرر الخطاب ولا أدري أهو بالأولى، أم بالثانية، فاعتصم بلا أفهم ثم اضطر إلى شيء من سوء الأدب وهو رمي آلة التليفون ..».

ولكن مع مرور الأيّام استطاع أن يحفظ بعض الكلمات الأوردية وكان أهمّها عنده هي طلب الماء البارد وهي تتكون من ثلاث كلمات (طانده، باني، لاو) ومعناها على الترتيب: (بارد ماء هات) كما تعلم كلمات أخرى كذلك مثل (نمار- الصلاة) و(روطي- الخبز) و(انماك- الملح)...إلخ.

إلاّ أنّه بعد مرور ثلاث أيّام أحضر له ترجمان لازمه مدّة شهرين وهي المدّة التي مكثها في باكستان ولم يكن يفارقه إلاّ عند النوم.

صلى الإمام الإبراهيمي جمعته الثانية في باكستان يوم 28 مارس وذلك في إحدى المساجد الجديدة وألقى فيه محاضرة قبل الصلاة وموضوعها : وظيفة العالم الديني في الإسلام، ولقد صدمته خطبة الجمعة التي ألقاها إمام المسجد باللغة العربية وكان يقرأها من الكتاب، وموضوعها فضائل شهر رجب، الذي يصعد إلى السماء ويسأله الله عن أعمال عباده فيعتذر بأنّه أصم إلى آخر تلك المحاورة التي وضعها القصاصون بين الله وبين رجب، ويصف الإبراهيمي استياءه من ذلك فيقول: «فلم أملك إلاّ الحوقلة والاسترجاع وحمدت الله على خفوت صوت الخطيب، وجهل السامعين بالعربية وإنّ هذا لمن المواطن التي يستحب فيها الجهل والصمم وكان حضرة الخطيب جاء بتلك الخطبة شاهدا لما وصمت به علماء الدين من إلهائهم للعامّة بالقشور...».

أمّا الجمعة الثالثة فقد صلاها في مسجد آخر قدم فيها محاضرة أخرى كما طلب منه الإمام أن يصلي بالناس ويخطب لهم، أمّا الجمعة الرابعة، فإنّه صلاها في جامع الميمن وهو جامع جديد لم يتم بناؤه، ولم يسقف وإنّما هو مغطى ب (قلوع) يدفع الحرّ ولقد حاضر للمصلين كالعادّة بالمترجم وهم آلاف فلما حانت الصلاة طلب إمامهم من شيخنا أن يخطب خطبة الجمعة ويصلي بالناس.

ومن بين العادات الشائعة التي لاحظها الشيخ في كراتشي عند المسلمين هي عادّة تعظيم العلماء، وهي عادّة قديمة جدا عندهم ولكن القضية ليست في التعظيم ولكن الطريقة المبالغ فيها والتي تجاوزت حدود الشرع التي يرى بأنّها أصبحت مذلة ومهينة لهؤلاء المسلمين، فكلّما خطب في جمعة وهم بالانصراف بعد الصلاة اعترض المصلون طريقه ويأخذون في تقبيل يديه ووضعها على جباههم ومنهم من يتمسح بثيابه»... ولقد صحت في الناس في أول مرّة وقلت يا قوم: هذا منكر فلما لم يكفوا قلت هذا حرام: فلم يزدهم ذلك إلاّ تهافتا علي، ولو بقيت في المسجد لبقي المصلون كلّهم مرابطين ينتظرونني وكان الأمر في الجمعة الثانية أشد وكان في الثالثة أشنع لكثرة المصلين في جامع الميمن وكان صوتي في كلّ مرّة أعلى ولكنّه كان أضيع...».

وأهمّ ما يمكن تسجيله في هذا العرض السريع هو أنّ الإبراهيمي من خلال احتكاكه بالمسلمين في باكستان توصل إلى النتيجة التالية: «إنّ مسلمي باكستان والهند لينفردون بخاصية سميتها بعد التأمل والدراسة (القابلية) وأعتقد أنّ هذا هو اسمها الحقيقي فقابلية الخير والصلاح والإصلاح فيهم ظاهرة السمات فلو رزقوا الموجه المسدد والمشير الحكيم لسبقوا طوائف المسلمين كلّها إلى غاية الخير التي نرجوها للمسلمين».

وبعد كلّ هذا حدثنا الشيخ الإبراهيمي عن المسؤولين الباكستانيين الذين قابلهم، فكان أولهم السيد غلام محمد، الرئيس الباكستاني، الذي قابله في مقره الرسمي يوم 31 مارس، وكان معه الأستاذ محمود أبو السعود كمترجم وهو من نوابغ الاقتصاديين المصريين، والذي وجده «مشغول الخاطر بالدستور الباكستاني الذي لم يتحرر و لم يتقرر إلى الآن، مع اشتغال المجلس التأسيسي به عدة سنوات»

كما قابل كذلك رئيس الوزراء خواجه ناظم الدين فدار حديثهم عن باكستان والإسلام والمسلمين والجزائر وجمعية العلماء، وزار وزير الدعاية (الإعلام) وخلال هذه المقابلة أخبر الإبراهيمي الوزير بأنّ معظم المسلمين والعرب يسوءهم كثيرا أن تكون حكومة الهند أحذق منكم في فنون الدعاية واحرص على اجتذاب العرب بتوسيع البرنامج العربي واجتذاب المسلمين بتعدد حصص القرآن، لأنّ إذاعة باكستان كانت تخصص للبرامج العربية سويعات قليلة جدا لا تفي بالحاجة، وكان عذر الوزير هو كثرة اللغات في باكستان، والتي تحتم عليهم الظروف السياسية أن يذيعوا بها إرضاء لطوائف داخلية أو مجاورة، كما زار كذلك وزير الشؤون الخارجية محمد ظفر الله خان، وأهمّ القضايا التي تحادثا فيها قضية الحوادث الدامية التي كانت تعيشها تونس في تلك الفترة وكذلك قضية بعثة جمعية العلماء إلى مدارس باكستان في كراتشي فطلب منه الوزير أن يتدارس هذا الموضوع مع وزير المعارف الذي قابله فعلا حيث بين له الفائدة المرجوة لأبناء الجزائر من الدراسة في باكستان، وما تستفيده الحكومة الباكستانية من الفوائد المعنوية، وما يستفيده التلامذة من الامتزاج، ولقد طلب منه الوزير أن يكتب له تقريرا مختصرا على ذلك ليتخذه أساسا لعرض القضية على مجلس الوزراء بصفة رسمية.

كما زار كذلك أخت محمد علي جناح أول رئيس لجمهورية باكستان السيدة (فاطمة) وسألته عن الجزائر والإسلام فيها وعن المرأة الجزائرية وحظها من التعليم، ويقول الإبراهيمي أنّه من خلال الحديث معها أدرك أنها مهتمة بشؤون المرأة المسلمة وأنّها مطلعة على التشريع الإسلامي المتعلق بالمرأة، وزار بعد ذلك قبر أخيها والذي جاش خاطره بأبيات شعرية فأنشدها ولكن للأسف لم يسجل لنا الشيخ منها سوى ثلاث أبيات:

هنا شمس ثورات بالحجاب
هنا كنز تغطى بالتراب
هنا علم طوته يد المنايا
هنا سيف تجلل بالقراب
هنا من معدن الحق المصفى
يتيم في الجواهر ذو اغتراب

وآخر نشاط نحاول الوقوف عنده هي تلك الندوة الصحفية التي عقدها في أول الأسبوع الثاني من إقامته في كراتشي وذلك في دار الأستاذ أبو بكر حليم مدير جامعة كراتشي وقبل بدء الندوة وزع منشورا على المدعوين بين فيه الشيخ البشير الإبراهيمي الوضع السياسي في شمال إفريقيا عموما وفي الجزائر على الخصوص، وقضية الإسلام وأوقافه ومساجده وأحكامه في الجزائر وبعد ذلك شرح لهم بلسانه تلك الجملات التي شملها المنشور وخص تونس بحديث خاص نظرا للأوضاع الدامية التي كانت تمر بها.

وما تجدر الإشارة إليه في الختام أنّ الإبراهيمي لم يقتصر في هذه الزيارة على مدينة كراتشي التي قضى فيها خمسة وعشرين يوما بل زار مناطق أخرى عديدة في باكستان منها كشمير التي فضل أن يذهب إليها بواسطة القطار رغم بعد المسافة، حتى يستطيع مشاهدة باكستان من الداخل، كما كان له نشاط موسع وكبير في هذا البلد.

وقبل أن يغادر باكستان أذاع الإمام الإبراهيمي بيانا من الإذاعة الباكستانية شكر فيه باكستان حكومة وشعبا، وقال فيه أنه جاء إلى باكستان حاملا تحيات أهل المغرب الإسلامي إلى إخوانهم في المشرق الإسلامي، وركز الإبراهيمي كثيرا في هذه الكلمة على الإخوة الإسلامية.

*جامعة سيدي بلعباس

هكـــذا احتفـــت مصـــر بـالشيـخ الإبـــراهيـمـــي

نزل الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بمصر في عام 1952 ومكث فيها عشرة سنوات لقي خلالها كل علامات التقدير والترحيب من مختلف الشخصيات والجمعيات الفاعلة باعتباره شيخ علماء الجزائر وصوتها في المشرق العربي. ولم يغادرها خلال هذه الفترة إلا من أجل جولات قام بها في عدة دول إسلامية للتعريف بإنجازات جمعية العلماء في الجزائر، وجذب إعانات مالية لمواصلة أعمالها الإصلاحية، أو للمشاركة في النشاطات العلمية والمظاهرات النضالية التي تجمع قادة الفكر والسياسة لمناقشة قضايا الساعة أو للتعبير عن مواقف مشتركة تجاه ما يحدث آنذاك في العالم العربي والإسلامي وفي مقدمة هذه الأحداث: الثورة الجزائرية والقضية الفلسطينية. وهكذا زار الشيخ الإبراهيمي القدس وباكستان والخليج والعراق والشام. أما في هذا المقال فإننا سنقتصر على استقبال مصر لهذا العالم الجزائري.

أ.د مولود عويمر*

الإبراهيمـــي ونفحـــات مصـــر

كان الشيخ محمد البشير الإبراهيمي كغيره من العلماء الجزائريين معجبا بالحراك الفكري والأدبي والسياسي السائد في مصر . وعبّر عن ذلك في عدة مقالات نشرها في جريدة البصائر وهي من أروع ما كتب، مدافعا عنها ومبرزا فضلها على العالم العربي. كما أشاد بجامع الأزهر ودعا إلى إصلاح مناهجه حتى تتماشى مع متطلبات العصر. وكان حريصا على مراسلة الصحافة والنخبة المصرية مخاطبا ضمائرها ومذكرا بحق النصرة وواجب المساندة المعنوية التي تتمثل في التعريف بالنشاطات التي تقوم بها الجمعية في الجزائر والترويج لها في وسائل الإعلام المصرية الكثيرة. لكن صيحته لا تتجاوز حدود الجزائر، وهداياه من منشورات جمعية العلماء كسجل مؤتمرها الخامس وجريدتها البصائر تبقى في أدراج المجلات والصحف المصرية التي لا تنشر عنها خبرا للقراء.

وكان الشيخ الإبراهيمي يغتنم كل الفرص للتعبير عن غضبه من تقصير النخبة المصرية في التعريف بالثقافة الجزائرية، فها هو يخاطب الفرقة المسرحية المصرية التي زارت الجزائر في عام 1951 معاتبا الأدباء والمثقفين المصريين الذين تخلوا عن الجزائر كأنها ليست عضوا في الجسد العربي. وسيسعى جاهدا وهو مقيم في مصر فيما بعد على تغيير هذه الذهنيات بالاتصال بأهل الرأي واستقبالهم في مكتب جمعية العلماء في القاهرة، وإلقاء المحاضرات في المراكز الثقافية والأندية الفكرية وحشد الدعم للقضية الجزائرية ومناصرة الثورة التحريرية.

محاضـــرات ولقـــــاءات

كان الشيخ محمد البشير الإبراهيمي على صلة قوية بالجمعيات الفاعلة في الحياة الثقافية والدينية في مصر وكان من أبرزها جماعة الإخوان المسلمين التي احتك بقادتها مباشرة بعد هجرته إلى مصر بمساعدة صديقه الأستاذ الفضيل الورتلاني. وقدم عدة محاضرات في مركزها العام. كما اتصل بجمعية الشبان المسلمين وألقى في رحابها عدة محاضرات نالت أصداء واسعة في مصر. كما تعرف خلال سنواته المصرية على عدد كبير من رجال العلم والأدب والسياسة من مختلف الدول العربية والإسلامية، ذلك أن مصر كانت في الخمسينات قبلة لكل أحرار العرب والمسلمين.

وبالإضافة إلى المحاضرات واللقاءات كان للشيخ الإبراهيمي حضور في الإعلام المصري بمقالاته في الجرائد كالأهرام، والمجلات الثقافية الشهيرة كالرسالة للأستاذ أحمد حسن الزيات والمسلمون للدكتور سعيد رمضان والدعوة للأستاذ صالح عشماوي، الهلال لمؤسسها جورجي زيدان...الخ.

وتوجت هذه الشبكة من العلاقات بتأسيس «ندوة الأصفياء» تضم صفوة من العلماء والأدباء والشعراء، أذكر منهم: المفتي أمين الحسيني، العالم الأزهري الشيخ محمد عبد اللطيف دراز، الكاتب أحمد حسن الزيات، الأديب كامل الكيلاني، الشاعر اللبناني علي الحوماني، العقيد الفلسطيني عبد الله التل، وعالم الاجتماع الدكتور علي عبد الواحد وافي...الخ. وكان هؤلاء يجتمعون مرة في كل أسبوع في أحد بيوت أعضائها يقدم واحد منهم بحثا في قضية فلسفية أو أدبية أو سياسية ثم يناقشها الجميع بشكل مستفيض. وتستمر المناقشات ساعات طويلة من الليل. وقدم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي خلال هذه الندوة مداخلة عنوانها: « مشكلة العروبة في الجزائر».

وكانت العديد من الشخصيات العلمية تتردد على مجلس الشيخ الإبراهيمي وتحضر محاضراته وترافقه في تنقلاته تقديرا لعلمه وإعجابا بشخصيته أذكر منهم: العالم الأزهري الدكتور أحمد الشرباصي العضو الناشط في جمعية الشبان المسلمين، والأديب المعروف كامل الكيلاني، والمفكر سيد قطب الذي بادر إلى نشر 3 مقالات في جريدة البصائر الجزائرية، والقائد الفلسطيني عبد الله التل. فيقول هذا الأخير في مقال رائع عن الشيخ الإبراهيمي: «وفي السنوات التي قضاها الإبراهيمي في مصر سعدت بأن أكون من تلاميذه الذين نهلوا من غزير علمه وقبسوا من كريم أخلاقه. عرفته في أطوار متباينة من مر الحياة وحلوها. وأشهد بأنه كان على الدوام ذلك الإمام العملاق الذي لا تهزه احداث الحياة ولا تفت في عضده أو تنال من عزيمته وقوة إيمانه.»

فـي ضيـافـة الضبـاط الأحـرار

رحب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بالتغيير في مصر بعد أن قام الضباط الأحرار بالانقلاب العسكري على الملك فاروق وتأسيس جمهورية في البلاد بقيادة الرئيس محمد نجيب ورئيس الحكومة جمال عبد الناصر.

واستقبل المنتصرون الشيخ محمد البشير الإبراهيمي حينما زار القاهرة وأكرموا مثواه خاصة من طرف الجنرال محمد نجيب الذي وصفه الإبراهيمي في مقال نشره في مجلة الرسالة المصرية بـ «القائد الشعبي العظيم».

وكانت من أهم زياراته للرئيس جمال عبد الناصر تلك الزيارة التي رافقه فيها الأستاذ الفضيل الورتلاني والشيخ العربي التبسي وأحمد بوشمال القادمان من الجزائر. وكان من دوافع هذا اللقاء تقديم منح للطلبة الجزائريين المتخرجين من معهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة. وقد تحقق ذلك للوفد بعد أن وافق جمال عبد الناصر على قبول 100 طالب جزائري في المعاهد والجامعات المصرية على نفقة الحكومة المصرية.

وقد عرفت هذه العلاقة توترا بداية من عام 1954 بعد أن وقع التصادم بين الحكومة المصرية وجماعة الإخوان المسلمين واعتبار القادة المصريين الشيخ الإبراهيمي مناصرا لهذه الحركة. وتفاقم الاختلاف بين الإبراهيمي وممثلي الثورة الجزائرية في القاهرة لاختلاف الرؤى. وقد عاش الإبراهيمي فترات حرجة بسبب هذه المضايقات ولم يخفف عنه إلا خروجه من مصر وتجواله في بعض البلدان العربية.

مع الخالدين في مجمع اللغة العربية

انتخب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي عضوا مراسلا في مجمع اللغة العربية في عام 1961 بترشيح من الدكتور إبراهيم مدكور. وكان هذا الاختيار مبنيا على عدة اعتبارات علمية خلاصتها «غزارة علمه، وسعة حفظه ودقة فهمه لآداب العرب بجميع فنونها من شعر، ونثر، وأمثال وأيام وأنساب وتاريخ».

وقد اختير الشيخ الإبراهيمي ضمن احد عشر عضوا عينوا من الأقطار العربية ومنهم: محمد الفاضل بن عاشور تونس، عبد الله كنون من المغرب، محمد بهجة الأثري من العراق...الخ. وقد ناب عنهم في الكلمة التي ألقاها في جلسة افتتاح مؤتمر الدورة الثامنة والعشرين. غير أنه لم يحضر إلا مؤتمرا واحدا إذ عاد في عام 1962 إلى الجزائر ثم قعد به المرض. وقدم في ذلك المؤتمر بحثا عنوانه «ابن خلكان وفن الترجمة».

وبقي عضوا في هذا المجمع إلى أن توفي في عام 1965. وقبل وفاته، أرسل الشيخ الإبراهيمي رسالة إلى المجمع فيها شكوى وذكريات ووداع. وأقام مجمع اللغة العربية حفلة تأبين تخليدا لذكراه، وتقديرا له.

وقد خلفه في كرسيه بالمجمع في عام 1968 الأستاذ أحمد توفيق المدني الذي شعر بعظمة الموقف وثقل المسؤولية مما دفعه إلى الاعتراف بذلك في خطابه الذي ألقاه في حفل استقباله بمجمع اللغة العربية قائلا: «إنه لما يزيد من حرجي ومن ارتباكي أنني أستوي على مقعد قد ملأه قبلي عملاق من عمالقة العلم والأدب والتفكير، والجهاد الحق في سبيل الإسلام والعروبة والوطن الكبير، ألا وهو العلامة العظيم فقيدنا العبقري الملهم، محمد البشير الإبراهيمي رضي الله عنه.» وشاءت الأقدار أن يخلف الأستاذ المدني في عام 1984 نجل الشيخ الإبراهيمي الدكتور أحمد طالب.

وأحبت أن أختم هذا المقال بهذه الكلمات المعبرة التي اقتبستها من كلمة تأبين الدكتور إبراهيم مدكور رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة للشيخ محمد البشير الإبراهيمي غداة وفاته: «نجتمع اليوم لنؤبن شيخا من شيوخ الإسلام، وعلما من أعلام النهضة الجزائرية. فقدنا فيه أديبا بليغا، ومربيا كبيرا، ومصلحا عظيما، ومجاهدا مؤمنا قضى في وطنه ثلاثين عاما أو يزيد في خدمة الدين واللغة، فأحيا معالم القومية، وأعد جيلا من المكافحين والمناضلين، ومهد السبيل لاستعادة الاستقلال والحرية، أحب المجمع واتصل به منذ زمن، وعد من أصدقائه الأوفياء».

*جامعة الجزائر 2.

موقف مالك بن نبي من الجهود الإصلاحية للشيخ محمد البشير الإبراهيمي

تناولت أغلب الدراسات موقف مالك بن نبي من « جمعية العلماء المسلمين الجزائريين « وبالأخص الإمام عبد الحميد بن باديس، ولكنها لم تعط أهمية كافية للعلاقة التي ربطت مالك بن نبي بالشيخ محمد البشير الإبراهيمي بحكم أن هذا الأخير ترأس لمدة طويلة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. تأتي إذن هذه المقالة لتسليط الضوء على موقف مالك بن نبي من الجهود الإصلاحية للشيخ الإبراهيمي من خلال استعراض بطريقة كرونولوجية المسار والنهج الإصلاحي للشيخ الإبراهيمي ومختلف القضايا التي أثارها من خلال كتابات مالك بن نبي. كما أرصد مختلف المحطات التاريخية في ماضي العمل الإصلاحي للإبراهيمي التي التفت إليها « شاهد القرن».

د. هشام شراد*

مالك بن نبي و بوادر الاصلاح قبل تأسيس «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين»

تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام 1931 و تولى رآستها الامام عبد الحميد بن باديس الذي تم انتخابه من طرف هيئتها الادارية «بـنادي الترقي» بالجزائر العاصمة. وقد جاء تأسيسها بعد مخاض عسير، إذ تعود فكرة تاسيسها إلى سنة 1913 حين إلتقى الامام عبد الحميد بن باديس بالشيخ الابراهيمي بالمدينة المنورة و اتفقا على وضع برنامج اصلاحي في الجزائر. وقد قام كلاهما في بداية الثلاثينيات، في إطار التمهيد لهذا المشروع، بتأسيس الجرائد والمجلات نذكر منها «المنتقد» و «الشهاب» ودعوتهم علماء الجزائر الى نشر الثقافة الاسلامية وتوجيه الشعب الجزائري الى نهج الاسلام الحقيقي.

في هذه المرحلة، إلتحق مالك بن نبي بـ «مدرسة سيدي الجليس» بقسنطينة في الفترة الممتدة مابين (1921- 1925). تفاعل مالك بن نبي مع القضية الجزائرية وأولى إهتماماً كبيراً بالنشاط الإصلاحي للإمام عبد الحميد بن باديس، إذ كان يدرس بالقرب من مكتب هذا الأخير حيث كان يقوم بمهمته الإصلاحية ويدير «مجلة الشهاب». خلال هذه المرحلة، ربط مالك بن نبي علاقات بتلامذة الشيخ بن باديس وكان يلتقي بهم بمقهى بن يمينة.

بعد انهائه لدراسته بـ «مدرسة سيدي الجليس»، قصد مالك بن نبي أفلو في الجنوب الوهراني (الاغواط) في مارس 1927 وعمل في محكمتها عوناً قضائياً لمدة سنة تعرف حينها، على حد قوله، على «الجزائر المفقودة...الجزائر البكر». يقول مالك بن نبي في «مذكرات شاهد القرن» (الطفل):

«فالناس في الاعماق طاهرون ماتزال تسودهم البراءة، ولم يعرفوا بعد الرذيلة المتأصلة. ثم ان الضجة التي بدأت تحرك الأفكار في قسنطينة لم تكن قد امتدت بعد إلى منطقة وهران. فهناك لا تسمع أحداً يتكلم لا عن الإصلاح ولا عن الأسطوانات المصرية. ولم يكن الشيخ الإبراهيمي قد وصل بعد إلى تلمسان. وأظن أنـي أنا الذي أدخلت العدد الأول من مجلة (الشهاب) الى أفلو».

من خلال هذه الشهادة، يتبين أن الفكر الاصلاحي الباديسي لم يكن معروفاً بعد في الغرب الجزائري خلال هذه المرحلة، حتى أن مالك ابن نبي يعتبر نفسه أول من أدخل وروج لمجلة «الشهاب» في أفلو. هنا يلفت مالك بن نبي النظر إلى ما سيقوم به فيما بعد الشيخ الابراهيمي في الغرب الجزائري من جهود إصلاحية ونشر للأفكار التجديدية خاصة بعد وصوله إلى مدينة تلمسان ووهران.

لم يتسن لمالك بن نبي معرفة الشيخ البشير الإبراهيمي قبل تأسيس «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين»، وإنما كانت له صلة بالامام بن باديس الذي إلتقى به خلال عطلته سنة 1928 وطرح عليه «مشكلة التراب» في منطقة آفلو وظاهرة زحف الرمال على الأراضي الزراعية، و هنا تجدر الإشارة إلى أن مالك بن نبي يعتبر «التراب» شرطاً من شروط النهضة و عنصراً من عناصر الحضارة. في نفس السنة (1928)، إستقال مالك بن نبي نهائياً من مهنته التي كان يزاولها بمحكمة شلغوم العيد الذي حول إليها من آفلو بناء على طلبه ليعود أخيراً إلى مدينة تبسة، وسيقرر بعد أن عصفت الأزمة الاقتصادية التي عرفها العالم سنة 1929 بمشروعه التجاري أن يكمل دراسته في العاصمة الفرنسية باريس.

بعد تأسيس « جمعية العلماء المسلمين الجزائريين»

في سنة 1930 غادر مالك بن نبي الجزائر متوجها إلى باريس لمواصلة دراسته في معهد اللاسلكي لدراسة الهندسة الكهربائية. فاختار الإقامة في فرنسا لمدة طويلة إلى غاية سنة 1956، فتزوج خلال دراسته سنة 1931 من شابة فرنسية أسلمت واختارت «خديجة» إسماً لها. تجدر الإشارة إلى أن مالك بن نبي، خلال هذه السنوات التي قضاها بفرنسا كان يهتم بقضايا العالم الاسلامي وكان يتردد من حين إلى أخر على تبسة وقسنطينة والجزائر العاصمة.

في صائفة 1932، غادر مالك بن نبي باريس متوجهاً إلى الجزائر العاصمة ثم قسنطينة فتبسة. إنبهر مالك بن بأجواء تبسة الجديدة التي كانت تعرف نهضة حقيقية بفضل جهود الشيخ العربي التبسي والتي كان بطلها الشعب الذي شرع في بناء مسجد غير خاضع لرقابة الإدارة الاستعمارية وتأسيس نواديه ومدارسه. وقد أشار مالك بن نبي في هذا الصدد في «مذرات شاهد القرن» (الطالب) إلى الجهود الإصلاحية والنهضوية للشيخ الإبراهيمي التي جاءت متممة للتي بدأها الشيخ العربي التبسي في تبسة والتي أضيفت إلى توجيه الشعب الى بناء المجتمع الجزائري، إذ يقول في جزء «الطالب»: «وكانت تبسة تنتظر أيضا الشيخ الإبراهيمي، إذ قيل إنه سيأتي، ثم أتى وألقى درساً سيبقى أشهراً حدثاً يذكر في مساوات الناس، خصوصاً أن سيدي شافعي هو الذي افتتح الدرس بسؤال ألقاه»

أعجب مالك بن نبي في بدايات الاربعينيات بالفكرة الاصلاحية وبالجهود التي قام بها رجال «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين» في أرجاء الجزائر وطمح في أن يكون ممثلا لها في فرنسا، إلا أنه غير رأيه تجاهها على خلفية مشاركة بعض أعضائها في وفد «المؤتمر الاسلامي» الذي سافر الى باريس في جويلية 1936 من أجل مطالبة السلطات الفرنسية بتحقيق مطالب المؤتمر الاسلامي. وقد ضم هذا المؤتمر الذي انعقد بالجزائر العاصمة في جوان 1936 كل التيارات السياسية والوطنية والإصلاحية باستثناء «نجم شمال إ إفريقيا». وقد كان من نتائج هذا المؤتمر تشكيل وفد تكون مهمته رفع لائحة مطالب المؤتمر للسلطات الفرنسية بباريس.

المؤتمر الإسلامي 1936 و أزمة الإصلاح

أرّخ مالك بن نبي، من خلال مذكراته «للمؤتمر الاسلامي» ونقل لنا شهادات عن زيارة الوفد الجزائري الذي ترأسه كل من الدكتور بن جلول (1896-1986) والامام بن باديس، وقد زار حين تواجده بباريس الامام ابن باديس والشيخ الابراهيمي والشيخ العقبي وعبر لهم عن أسفه الشديد لإهتمامهم بسراب السياسية، معتبراً ذلك انحرافا عن منهجهم وخطهم الإصلاحي. يقول مالك بن نبي: «ولكن الجزائر التي كانت تستطيع كسب إنتصار كبير على الإستعمار بثمن غال، لم تكن بعد تجيد الحفاظ عليه، إذ أنها عوضا عن أن تبقي المعركة على الأرض التي تحقق عليها نصرها، تنقلها وتورطها على أرض الخصم (...) ربما زارني حمودة بن الساعي وأخوه صالح ليخبراني بوصول وفد جزائري على رأسه رئيس (الحادية النواب) وفرقة من أعضائها مثل فرحات عباس، ومعهم كل هيئة أركان حزب الاصلاح، من الشيخ بن باديس إلى الشيخ العقبي (...) وقررنا زيارة الوفد الجزائري الذي نزل بـ(جراند هوتيل) (...) وعلى أية حال فقد وجدنا يومئذ الوفد الجزائري موزعاً في بناء الفندق، حلقة الشيخ بن باديس من المعممين من ناحية، وحلقة المطربشين من ناحية أخرى. فتوجهنا إلى الاولى فقد كان حول الشيخ زملاؤه من جمعية العلماء، مثل الشيخ الابراهيمي والشيخ العقبي...وبعد التحية والسلام شرعت في مرافعة شديدة : «يا أصحاب الفضيلة، ماذا أنتم تفعلون؟ ولماذا في هذا الفندق المترف تنزلون؟ أترون من حولكم من احبار اليهود وقساوسة المسيحية ؟»

إن موقف مالك بن نبي من عبد الحميد بن باديس والشيخ الإبراهيمي والشيخ العقبي يستوجب فهم فلسفته في النهضة، فهو يعتبر أن الأزمة التي يعرفها العالم الاسلامي هي أزمة حضارية وفكرية قبل أن تكون أزمة سياسية أو عقدية والحل يكمن في تغيير وإعداد إنسان مابعد الموحدين الذي هو تجسيد للقابلية للاستعمار، أي أن المشكل متعلق بسلوك ونمط حياة وأفكار الإنسان في العالم الإسلامي. من هذا المنطلق أعاب مالك بن نبي على رجال جمعية العلماء المسلمين توجههم السياسي وتركهم الفكرة الإصلاحية تسقط في مستنقع السياسة. يقول مالك بن نبي في كتابه «شروط النهضة» الذي صدر سنة 1949 : «فلقد كان على الحركة الإصلاحية أن تبقى متعالية على أوحال السياسة والمعامع الانتخابية ومعارك الأوثان: ولكن العلماء آنذاك قد وقعوا في الوحل، حيث تلطخت ثيابهم البيضاء وهبطت معهم الفكرة الاصلاحية، فجرت في المجرى الذي تجري فيه (الشامبانيا) في الأعراس الانتخابية، المزوجة أحياناً بدم تريقه اليد السوداء لاغتيال الإصلاح».

يؤكد مالك بن نبي أن مشكلة الإنسان المسلم بصفة عامة لها أبعاد نفسية وفكرية و ثقافية تتعلق بعادات «إنسان مابعد الموحدين» وتصوراته الذهنية ومفاهيمه وطريقة تفكيره، فالإنسان المسلم قد فقد منذ أكثر من سبعة قرون إرادته للعمل وقدرته على الحركة والبناء والإبداع، لذا فإن مالك بن نبي يعيب على رواد الحركة الإصلاحية فشلها في «توفير الدافع الداخلي» لدى شعوب المجتمعات الإسلامية و تحرير مبدأ الفعالية وتنظيم المجتمع على قواعد أخلاقية.

ومع أن مالك بن نبي هاجم بشدة رجال جمعية العلماء المسلمين بسبب توجههم السياسي وانسياقهم وراء دعاة «البوليتيكا»، فإن الرجل أثنى في الكثير من مقالاته على جهود الامام ابن باديس الاصلاحية والنشاط التربوي الذي إضطلع به الشيخ الإبراهيمي قبل وبعد وفاة الإمام بن باديس. لقد أدى النجاح الكبير للشيخ الابراهيمي في الغرب الجزائري إثر تكليفه من طرف أعضاء جمعية العلماء بنشر الاصلاح في ربوع «الوهراني» إلى إعتقاله ونفيه إلى مدينة آفلو، وتشاء الأقدار أن تكون مدينة آفلو ملجأ لمالك بن نبي لطلب العمل ومنفاً إجبارياً للشيخ الابراهيمي الذي مكث فيها ثلاثة سنوات كاملة من 1940 إلى غاية سنة 1943، تاريخ الافراج عنه، ليترأس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، إذ تم انتخابة من طرف علماء الجمعية بعد وفاة الامام بن باديس سنة 1940.

بعد الحرب العالمية الثانية وإلى غاية إندلاع الثورة التحريرية، شارك مالك بن نبي بقلمه في «الشاب المسلم» وهي مجلة جمعية العلماء المسلمين الناطقة بالغة الفرنسية والتي كان يديرها الشيخ الإبراهيمي، كما شرع في تأليف الكتب، ويذكر مالك بن نبي في مذكراته، جزء الكاتب، أنه إلتقى في ديسمبر 1949 بالشيخ الابراهيمي في تبسة وأرشده إلى السيد محمد خطاب الذي سيضع بين يديه مائتي ألف فرنك من أجل نشر الطبعة العربية لكتابه «الظاهرة القرآنية» الذي لقي رواجاً كبيراً. إلا أن الشيخ الابراهيمي بمجرد وصوله إلى العاصمة، غير رأيه في نهاية المطاف، ما جعل مالك بن نبي يأسف لموقفه.

من المحتمل أن نشر مالك بن نبي لكتابه «شروط النهضة» سنة 1949 والذي بلور فيه مفهوم «القابلية للإستعمار» هو الذي كان وراء تغيير الشيخ الابراهيمي لرأيه فيما يخص نشر الطبعة العربية لكتاب «الظاهرة القرآنية». وتجدر الاشارة أن هذا المفهوم قد سبب لمالك بن نبي الكثير من المشاكل بسبب سوء فهمه من طرف المثقفين والوطنيين الجزائريين الذين اتهموا صاحبه بتبرير الاستعمار. و«القابلية للإستعمار» عند مالك بن نبي هي نتيجة لإنهيار البناء الإجتماعي، أي فقدان «العصبية» بالمفهوم الخلدوني ويتزامن ذلك عندما تتفسخ «شبكة العلاقات الاجتماعية» فيصبح المجتمع كماً من الأفراد دون ترابط عضوي بينهم ما يحول دون تحقيق التفاعل الفكري والحيوية الإجتماعية فيؤثر سلباً على عملية إنتاج الأفكار والقيم ويؤدي ذلك إلى الجمود والشلل الفكريين وجملة من الأمراض الإجتماعية «كالنزعة التذريرية» و«ذهان السهولة» و«ذهان الاستحالة» والقنوع والطمأنينة الأخلاقية والفكرية وغياب النقد الذاتي والتقليد الأعمى للنظم القديمة والنظم الغربية التي ترسخ التبعية.

تراوح موقف مالك بن نبي تجاه الشيخ الإبراهيمي خلال هذه المرحلة بين التنديد والترحيب والمساندة، فقد أثنى في نهاية الخمسينيات في «مذكراته» على النجاح الكبير الذي حققه الشيخ الإبراهيمي خلال إقامته في المشرق حيث قام بتنظيم أولى البعثات الطلابية الجزائرية التي مكنت خريجي «معهد عبد الحميد بن باديس» من متابعة وانهاء دراستهم في جامعات المشرق العربي، في القاهرة وبغداد ودمشق.

هذا وقد ساند مالك بن نبي الشيخ الابراهيمي في «رسالة مفتوحة إلى السيد المفتي الكبير العاصمي» التي تم نشرها في ديسمبر 1950 والتي عالج فيها مطلب الشيخ البشير الابراهيمي بـ «فصل الدين الإسلامي عن الدولة الفرنسية»، ومنددا بتعيين الادارة الاستعمارية لمحمد العاصمي مفتياً بالمسجد الحنفي بالجزائر العاصمة، ومعتبراً ذلك إغتصاباً للحريات الدينية وكان ذلك في مقال عنونه الشيخ بـ «التقرير الحكومي العاصمي». هذا وتجدر الاشارة إلى أن قانون 9 ديسمبر 1905 لم يدخل حيز التطبيق في الجزائر المستعمرة، فقد فضل البرلمان الفرنسي، خلال دورة مناقشة قانون الفصل بين السلطتين الزمنية والروحية في 9 ديسمبر 1905، الإبقاء على قواعد الأحوال الشخصية للمسلمين في الجزائر. هذا القرار أدى إلى إشعال فتيل الصراع بين الإدارة الإستعمارية من جهة و«جمعية العلماء المسلمين الجزائريين» من جهة أخرى والتي شكل مطلب «فصل الدين الإسلامي عن الدولة الفرنسية» أحد أهم مطالبها. يقول الشيخ البشير الإبراهيمي بهذا الخصوص: «أما بعد فأننا قدمنا في الأسبوع الماضي إلى الوالي العام، وإلى رئيس المجلس الجزائري، وإلى جميع أعضائه - مذكرة بطلب تنجيز فصل الدين الإسلامي عن الحكومة الجزائرية، وبيان رأينا في كيفية الفصل، لم نحد فيها عن آرائنا القديمة، ولم نزد إلا ما جد في القضية من حكم البرلمان الفرنسي في المادة السادسة والخمسين من القانون الأساسي للجزائر، وهو التصريح بأن الفصل مضمون، أسوة بالدينين المسيحي والموسوي، وأن النظر في التنفيذ موكل إلى المجلس الجزائري».

في هذا السياق، يعتبر الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس أول رجل جزائري طالب بفصل السلطة الزمنية عن السلطة الروحية في الجزائر المستعمرة لما يتيحه من حرية الإعراب عن آرائه ومعتقداته وأفكاره الإصلاحية. وقد تولى الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الدعوة الى تطبيق قانون 9 ديسمبر 1905 في الجزائر من خلال كتابة مجموعة من المقالات في جريدة البصائر التي لم تخل من المطالبة بإستقلال شؤون الدين الإسلامي في الجزائر وفصله عن الحكومة الفرنسية، وقد تمثلت هذه المطالب في تحرير المساجد برفع يد الحكومة عنها، وتحرير الأوقاف الإسلامية بإرجاعها إلى المسلمين، وكذا تحرير القضاء برفع جميع القيود عنه، وتحرير الحج بعدم تدخل الحكومة في أي شأن من شؤونه.

قوبل المشروع الاصلاحي لرجال «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين» بترحيب مالك بن نبي الذي ظل وفياً للخط الإصلاحي بالرغم من «انحرافهم السياسي» الذي يعتبره مالك بن نبي «زلة نزيهة». فقد عبر في الكثير من كتاباته عن تقديره وامتنانه لجهودهم ودورهم الإصلاحي المتميز في الجزائر وتضامن معهم كثيرا.

بعد استقلال الجزائر، عاد مالك بن نبي إلى أرض الوطن في 1963 حيث باشر نشاطه الفكري بتنظيمه لندوات فكرية في بيته وخارج الوطن. وقد أوكلت له مهمة «مدير التعليم العالي» عام 1967 ولكنه لم يستمر فيها إلا بضعة أشهر، ليتفرغ للعمل الفكري إلى أن وافته المنية سنة 1973، أما الشيخ الإبراهيمي فقد تم وضعه تحت الإقامة الجبرية إلى أن توفي سنة 1965. ويذكر مالك بن نبي في الجزء الأخير من مذكراته أنه زار مع صديقه الدكتور خالدي الشيخ البشير الإبراهيمي في الفاخ ماي1964.

في الخاتمة، أمكن القول أن موقف مالك بن نبي من الجهود الاصلاحية للشيخ البشير الابراهيمي كان إيجابياً وأن انتقاداته التي وجهها إلى العلماء الجزائريين كان هدفها ترشيد الفكر الاصلاحي في الجزائر.

*كلية العلوم الإنسانية، جامعة بجاية

الشبـــاب الجزائـــري فـــي مخيـــال الشيـــخ الابراهيمي

د . أحمد عصماني*

الكثير من الكتاب والعلماء تناولوا موضوع الشباب ودرسوا مرحلته العمرية دراسة وافية ، وعددوا حاجاته ومتطلباته الاجتماعية والنفسية والبدنية وغيرها ، وأبرزوا خصائصه ومميزاته ، ودوره في التغيير الاجتماعي و حركية الأمة ، وخلصوا في الأخير إلى أن الشباب عماد كل مجتمع وطاقات حاضره وعدة مستقبله ، ونظرا لخطورة وتعقد فترة الشباب تطرق إليها علماء الاجتماع والمصلحون التربويون بإسهاب وبينوا أهميتها في حياة الشباب خصوصا ، وحياة المجتمع على العموم ، فكيف تناول المصلح التربوي الشيخ محمد البشير الابراهيمي مفهوم الشبِاب ومجالات تمثله ؟

التسامـــي فـــي الحيـــاة والسعـــي إلـــى طلبهـــا

يعد الشيخ البشيرالابراهيمي أديبا ومصلحا ومفكرا ورجل سياسة، وهو أحد أبرز رجال الحركة الفكرية والاصلاحية في الجزائر والعالم الاسلامي في القرن العشرين. ولد عام 1889 بقرية أولاد ابراهيم بسطيف،حفظ القرآن الكريم وعمره تسع سنوات ،غادر الجزائر متجها إلى الحجاز عام 1908 واستقر رفقة أبيه بالمدينة المنورة ،تفرغ للدراسة، فأخذ على كبار علماء اللغة والدين، وأقبل على مطالعة الكتب قديمها وحديثها برغبة شديدة في التحصيل، وقد ساعده ذكاؤه المتّقد، وذاكرته القوية على الاستيعاب الأمثل، فاكتسب من ذلك معرفة واسعة في شتى فنون العلم، جعلت منه أحد كبار علماء عصره في العالم الاسلامي، وبعد بلوغه من الكبر مرحلة متقدمة توجه إلى الشباب الجزائري متخيلا مكانة ودور هذه الفئة في كسب رهانات الحاضر والاعداد إلى المستقبل في مقالات متسلسلة عام 1947 كتبها في جريدة البصائر.

يبدأ الشيخ الابراهيمي رؤيته للشباب في أن يتخيله متساميا إلى معالي الحياة مشدودا إلى طلبها، متخلصا من كل القيود، يحدوه عزم متقد، مصدره عنفوان البصيرة، وشهامة الفؤاد، وحيوية الجوارح ونشاطها الذي لايعرف له الملل سبيلا، عندما يقول:» أتمثّله متساميا إلى معالي الحياة، عربيد الشباب في طلبها، طاغيا عن القيود العائقة دونها ، جامحا عن الأعنة الكابحة في ميدانها، متّقد العزمات، تكاد تحتدم جوانبه من ذكاء القلب، وشهامة الفؤاد، ونشاط الجوارح»، ويقول في موضع آخر:» فإذا كل شيء في الكون جليل، لأنه من أثر يد الله، وإذا كل شيء فيه قليل له خاضع لجلال الله، ومن هذه النقطة يبدأ سمو النفوس السامية وتعاليها وتهيؤها للسعادة في الكون والسيادة في الكون».

والحقيقة إن الشاب إذا لم ينجح في اكتشاف المعنى الذي تنطوي عليه حياته ،فإن هذه الحياة تصبح ضئيلة القيمة ،ويصبح من العبث أن يعهد الانسان ذاته في تحمل مصاعبها، لهذا يدعو أنصار مدرسة (فراغل) إلى تركيز الجهود حول مساعدة الشاب على أن يكشف بنفسه معنى الحياة الذي يؤمن به وأهميته للانسان.

الفكـــر قبـــل العمـــل

وفي سياق آخر يريد الكاتب من الشباب أن يفكر مليا قبل الإقبال على العمل، فالإقدام على خوض دروب الأمور العظيمة تتطلب التخطيط الجيد والمدروس دون تسرع أو تهور، كما تقتضي من الشباب الاحجام عن الصغائر والسقطات في غير خوف أو رهبة، لكن الحذر مطلوب، وكل خطوة يخطوها الشباب؛ يجب أن يحسبوا لها نتائجها، لأن الذي يفكر بطريقة سليمة؛ هو الذي يقدم على العمل وتنفيذ أفكاره على بينة ومنهج واضحين، على خلاف الشاب الذي يعمل دون أن تختمر الفكرة في ذهنه، ويحدد الغرض من بلورتها وتطبيقها ،ذلك أن الفكر مرحلة تسبق التطبيق العملي . وفي هذا الاتجاه يقول :» أتمثّله مقداما على العظائم في غير تهور، محجاما عن الصغائر في غير جبن . مقدرا موقع الرجل قبل الخطو، جاعلا أول الفكر آخر العمل».

إن الشباب -حسب الكاتب في موضع آخر من هذه المقالة- هو تلك الفئة من المجتمع التي لا تخاصم العمل، ولكن عدوها اللدود هو البطالة، يريده مرتادا لمعمل لا جالسا في مقهى، مكانته ووزنه في المجتمع مرهونان بالعمل لا بكثرة الكلام وملء الفراغ، يحسبه شبابا مدرك الحقيقة، لا أسير الخيال وحبيس الاحلام الوردية، وفي هذا النحو يقول :» أتمثّله حلف عمل، لا حليف بطالة، وحلس معمل، لا حلس مقهى، وبطل أعمال، لا ماضغ أقوال، ومرتاد حقيقة، لا رائد خيال».وكأني بالكاتب أراد أن يستدل بكلمة عمر الفاروق رضي الله عنه عندما خاطب أحد العاملين قائلا:» إن هذه الأيدي لا بد أن تشتغل، فاعمل على شغلها بطاعة الله قبل أن تشغلك بمعصيته».

إنّ أول شرط حسب الكاتب للعمل هو العلم والثقة بالنفس والتوكل على الله . فالثقة بالنفس شرط من شروط النجاح في معترك الحياة ،فهي تبعث على الأمل، والأمل يدفع إلى العمل وإلى التفاني في إنجاحه، والاعتماد على النفس أن يتولى الشاب أموره بنفسه غير متكل فيها على أحد كما قال الشاعر:

إنما رجل الدنيا وواحدها: من لا يعوّل في الدنيا على رجل.

وليس معنى هذا عدم الاتكال على الله سبحانه وتعالى، يحكى أن عربيا سمع يوما بفضل الاتكال على الله، فأعجبته الفكرة، فقام في اليوم الموالي وسرّح ناقاته دون أن يعقلها، فهربت الناقة ،فذهب إلى الرسول (ص) يشكو أمره فأجابه مفسرا معنى الاتكال على الله «أعقلها وتوكل» ولهذا ينبغي على الشباب أن يتخذوا الأسباب للوصول إلى النجاح في هذه الحياة، دون اتخاذ القدر حصان طروادة، وإهمال العمل.

الإقبـــال علـــى العلـــم

لا يتخيل الكاتب إطلاقا أن الشباب يعادون طلب العلم ولا يسعون في تحصيله، لأن العلم هو الذي يخدم الفرد والمجتمع والانسانية،وقد أصاب الكاتب عندما شبه السعي الحثيث في طلب العلم من أجل العمل به، وتعميم فوائده على الناس جميعا، بإقبال النحل على الأزهاروالثمار لتصنع الشهد والشمع، يا له من تشبيه بليغ، ذلك أنه لا خير في علم لا ينتفع الناس من ثماره، وهنا ربط الكاتب العلم بالإخلاص في العمل، فالشاب ينبغي عليه في تحصيل رزقه أن يكد، وأن يبذل في ذلك الجهود، شأنه شأن النمل التي تجدّ في الصيف لتجد ما ادّخرته في الشتاء، ولا عيب إن نجح الشاب مرة وفشل أخرى.

وفي هذا السياق كتب المفكر رفيق العظم : أنه من أهم ما سيتوقف عليه تقدم الانسان، ويترقى به إلى درجات الفضل والعرفان ،العلم الذي هو أسس الكمالات البشرية وعنصر التقدم بالهيئة الاجتماعية، ومصدر التطور الشامل للإنسانية.

الاعتـــزاز بالأصالـــة والافتخـــار بالحضـــارة

يعرّف الدارسون الأصالة بأنها شعور الإنسان واقتناعه العميق بانتسابه إلى مجموعة بشرية هي أمته، وإلى أديم هي بلاده، وتشبعه بتصورات ومفاهيم وأفكار انحدرت إليه من الأسلاف في أعماق التاريخ، وتبليغها إلى الأجيال على مر الزمن، فلا ريب في أن يخال الكاتب الشباب متمسكين بأصالتهم، ويبرون بداوة أجدادهم التي أنتجت أبطالا وعلماء خلدوا ذكراهم، وأن يبتعدوا عن الحضارة الغربية التي أزاغت أفكارهم ورمتهم بقشورها، وأرخت أعصابهم وميّعت فضائلهم، وخنثت طباعهم ،ففقدوا فحولتهم، وقيدتهم بخيوط الوهم، وصبت في نبعهم الطاهر السموم، وكأن الشباب الجزائري مثل الأسد الذي وضع في الأسر، ففقد بأسه ورهبته، ولهذا يود الكاتب أن يرى الشباب الجزائري على الصورة التي أوردها الشاعر القائل:

أحبّ الفتى ينفي الفواحش سمعه
كأنّ به من كل فاحشة وقرا

إنّ الشباب الجزائري في حاجة إلى تحصين نفسه باتقاء المحرمات والابتعاد عن إتيان الفاحشة، ولن يتحقق له ذلك ،إلاّ بالزواج الذي يحقق له الاستقرار النفسي، وكأني بالكاتب كان يستشرف المستقبل، عندما حث الشباب على الغيرة على بنت جنسهم من أن تبور، فما أشبه اليوم بالبارحة بقوله :» أتمثّله شديد الغيرة ،حديد الطيرة، يغار لبنت جنسه أن تبور، وهو يملك القدرة على إحصانها، ويغار لماء شبابها أن يغور، وهو يستطيع جعله فياضا بالقوة، دافقا بالحياة».

الاستقامـــة في السلـــوك وفـــق أحكام الاسلام

يتمثل الكاتب الشباب -في موقع آخر- متمتعا بصفات وأخلاق لا تخرج عن نطاق التربية الاسلامية، فلا هو كثير الصخب، ناهش أعراض الناس أو ناقل غيبة أو شائع سباب ، بل مستنكفا عن محارم الناس ومحارم خالقهم ،حافظ لسانه إلاّ في قول الحق أو في النهي عن المنكر، حليما متسامحا ومتجاوزا عما يصدر في حقه من أخطاء من إخوانه ولا يحمل حقدا ولاضغينة لهؤلاء وأولئك.

إن الكاتب كان يأمل من الشباب أن يعودوا للهدي الاسلامي الطاهر، واتباع العقيدة الصحيحة، وأن يتخلصوا من رواسب الفساد التي غشيت عقولهم، ومن الخرافات التي حجبت سماءهم، فيسلكون منهجا واضحا، ويسيرون على هديه حتى يبلغوا مبلغ الرجال، وهم على صحة العقيدة، ومتانة الاتصال بالله يحدوهم إيمان قوي في خوض معترك الحياة بنظرة صحيحة، وعزيمة ثابتة في المنافسة عليها، لا ينبغي أن يكون حظهم منها نزرا قليلا، بفضل الحجة التي يمتلكونها، وحلاوة اللسان في طلبها،كلهم ثقة في فكرهم وعقلهم من أن يضلّوا في الحياة أو يضلّوا في الدين وفي هذا قوله»أتمثّله مجتمع الأشدّ على طروادة العود، بعيد المستمر على ميعة الشباب، يحمل ما حمّل من خير؛ لأن يد الإسلام طبعته على الخير، ولا يحمل ما حمّل من شر؛ لأن طبيعة الاسلام تأبى عليه الشر . فيفتح عينيه على نور الهدى، فإذا الدنيا في عينيه نبرة مشرقة، وفتح عقله على حقائق الدين، فإذا الدين والكون دال ومدلول عليه...» ولعلّ ما يؤكد صواب هذا الاعتقاد ما ورد عن الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل الذي كان من دعاة التغريب، والأخذ دون حدود عن الغرب، فتحوّل إلى داعية للاسلام مدافعا عنه، حينما كتب :» حاولت أن أنقل لأبناء لغتي ثقافة الغرب المعنوية وحياته الروحية لنتخذها جميعا هدى ونبراسا ،لكنني أدركت بعد أنني أضع البذر في غير منبته».

الوطن وعلاقته بالعروبة والاسلام

يقول العالم الألماني فيخته:» فكما أن الدين هو العنصر الدائم لحياتنا الروحية العليا، فإن حبّ الوطن هو العنصر الدائم والأساسي لحياتنا المدنية كمواطنين».

وبالتأمل في هذا القول نجد عظمة الرجال تصنع بالدين واكتساب المهارات العلمية والمعرفية في الحياة، وبطولتهم تتجلى في الذود عن حماية الوطن ومقوّماته ، وكأني بالكاتب قد اطّلع على هذا القول، وأقر بصحته عندما راح يمنّي نفسه، وبخال الشباب الجزائري وهم على سجية الرجال، إذا حدّث أحدهم، ومتهدل الأسرة إذا حدّث (بكسر الدال وضم الميم)، قليل الكلام في اللغو، بعيدا عن المحارم، حاميا لوطنه وقت الشدائد من المتواطئين والمحتلين، وفي هذا النحو يرى جمال الدين الأفغاني ومن بعده محمد عبده؛ أن الخائن ليس فقط الذي يبيع وطنه وإنما هو ذلك الذي في استطاعته أن يفعل شيئا لصالحه ولم يفعله، لذلك يؤكد الكاتب سداد هذا الرأي بقوله :» حتى إذا امتدت الأيدي إلى وطنه بالتخون، واستطالت الألسنة على دينه بالزراية والتنقص (...) وتسابق الغرباء إلى كرائمه باللّص والتدمير، ثار وفار، وجاء بالبرق والرعد، والعاصفة والصاعقة، وملأ الدنيا فعالا، وكان منه ما يكون إذا ديس عرينه أو وسم بالهون عرنينه».

لكن الوطنية عند الكاتب لا تعني غلق الحدود والامتناع عن مد اليد للآخرين خاصة العرب والمسلمين منهم، فهذا النوع من الشباب لا يبتغيه في الجزائر عندما يبدي صراحة:» أتمثّله واسع الوجود . لا تقف أمامه الحدود يرى كل عربي آخا له أخوة الدم، ويؤكد على أهمية هذه الفكرة في موقع آخر من دراسته بقوله « أتمثّله مجتلى للخلال العربية التي هي بواكير ثمار الفطرة في سلاستها وسلامتها «، ثم يضيف :» وكل مسلم أخا له أخوة الدين وكل بشر أخا له أخوة الانسانية، ثم يعطي لكل أخوة حقها فضلا وعدلا».

وفي الأخير يتساءل الكاتب عن قيمة الشباب كمرحلة عمرية، وإن رقت أنداؤه، وخاوبت أصداؤه، وقضيت أوطاره، وغلا من بين أطوار العمر مقداره، وتنفست عن مثل الرّوح أزهاره، وما قيمة الكهولة، وإن استمسك بنيانها، واعتدل ميزانها،ووضعت قواعد الحكمة والأناة على أركانها.

بل ما قيمة المشيب، وإن جلّله الوقار بملاءته، وطواه الاختبار في عباءته، وامتلأت من حكمة الدهور، وغرائب العصور، حقائبه . ثم ماقيمة كل ذلك إذا لم تنفق حياة الفرد في تحصيل علم أو الانتصار لحقيقة، أو نشر لغة، وجلب النفع للأمة، وخدمة الوطن؛ وهي عبارة عن وصايا أوصى الكاتب الشباب بتجسيدها والعمل بها خدمة لأنفسهم ولمجتمعهم وللانسانية جمعاء، فضلا عن ذلك تعد قضايا تربوية ذات أهمية كبيرة أثارها الكاتب، وأولى هذه القضايا؛ السعي الحثيث في طلب العلم . فعلاوة على ما ذكرناه سابقا في هذا الباب ورد في حديث نبوي شريف مايلي: : قال الرسول (ص):» إذا أردت الدنيا، فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخره، فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معا فعليك بالعلم». لكنّ العلم الذي ينفع الناس ،لا العلم الذي يقوض الحضارة ويمسخ الدين ويفسد اللغة، وما قاله أبو العلاء المعري في هذا المعنى: إن لم يكن علم الفتى نافعا: فغيّه أحسن من رشده.

أما القضية الثانية؛ فهي جديرة بأن يعي شبابنا أهميتها وتتمثل في اللّغة، فاللغة لها تأثير في نشر الدين، بقدر ما للدين من دور في نشر اللغة والحفاظ عليها ،فبالقدر الذي كان للدين دافعا للكتاب والفلاسفة والعلماء على التفكير وإنتاج الآثار الأدبية الرائعة، دفاعا عنه ونشرا له، كانت اللغة وسيلة مؤثرة في الدين بوصفها أداة تبليغ للآخرين، يقول الأستاذ ألبورت: «إن اللغة تحتفظ بالتراث الثقافي جيلا بعد جيل، وتجعل للمعارف والأفكار البشرية قيمتها الاجتماعية بسبب استخدام المجتمع للغة كدلالة على معارفه وأفكاره». ونظرا لخطورة اللغة في الحفاظ على قيم المجتمع ومبادئه وهويته سبق للعالم الجزائري الشيخ العربي التبسي أن خاطب الشباب العربي في العشرينيات بشأنها، وما قال» «لترد على اللغة العربية شبابها، وحّي ذكرها بكل الطرق». ويضيف في سياق متصل منكرا على الشباب إهمال اللغة والعلم :»أتنتمون إلى العربية ولا تلجون لها بابا، ولا يأوي إلى مجالس شيوخكم نشؤكم، فيروي عنهم ما خلّده لكم أسلافكم من أنيق اللفظ ورائع المعنى».

أما القضية الثالثة،فتتعلق بولوج الطرق والمسالك التي تؤدي إلى جلب المنافع وجمع الخيرات للأمة، فلا بد للشباب أن يجتهدوا وأن يحرصوا على تعلقهم بالعلم والعمل، كلما اتيحت لهم الفرصة، فالعمل بعلم خير من عمل يقوم به جاهل ،ففي حوار مع بعض الشباب المثقفين ثقافة فرنسية قال لهم ابن باديس:» عليكم أن تلتفتوا إلى أمتكم فتنتشلوها مما هي فيه، بما عندكم من علم، وما اكتسبتم من خبرة، محافظين على مقوّماتها، سائرين بها في موكب المدنية الحقة بين الأمم».

وعلى هذا المنوال ينبغي على الشباب أن يضعوا نصب أعينهم خدمة وطنهم، بفضل السعي الجاد إلى تحقيق المصلحة العامة التي تنتج عظماء التاريخ، والابتعاد عن الجري وراء المصلحة الخاصة التي تجعل من العظيم صغيرا، ويتذكروا المقولة الخالدة :»إن الفرد الذي يخدم مصلحته يموت صغيرا، أمّا الذي يخدم الإنسانية فيموت عظيما، فعلى الشاب أن يتخلص من أنانيته ويلتف وراء خدمة أمتّه، وفي ذلك نفع لها وله.

أما القضية الأخيرة؛ فتتعلق بخدمة الوطن . فالأوطان لا تخدم باتباع خطوات الشيطان على حد قول الكاتب، بيد أن الشيخ العربي يرى في خدمة الوطن تجنيدا وشعورا ينبغي أن يتمتع بهما الشباب عندما توجّه إليهم في وقت ما :»أنتم جنود الله والوطن ،إياكم وارتياد أماكن اللّهو والمقاهي، وجندوا أنفسكم للاسلام والوطن»، ولعلّ خدمة الوطن تحمل مدلولا عظيما، فسره ابن باديس بقوله:» إنما ينفع المجتمع الانساني ويؤثر في سيره من كان من الشعوب قد شعر بنفسه، فنظر إلى ماضيه وحاله ومستقبله، يأخذ بالأصول الثابتة من الماضي، وأصلح من شأنه في الحال ومد يده لبناء المستقبل».

وخلاصة القول أن الكاتب قد حاول أن يسقط اهتماماته وانشغالاته على الشباب الجزائري بفلسفة تربوية جمعت بين الأصالة والحداثة، فكان إصراره شديدا على الشباب الجزائري في أن يأخذوا بها، ويعملوا على تكريسها، عسى أن يكونوا من أصحاب الحظ الجميل، إذا أرادوا فعلا أن تكون لهم ولأمتهم مكانة بين الأمم الأخرى.

*جامعة البليدة

الشيخ الإبراهيمي في البحوث الجامعية والمؤلفات الفكرية

أ.د. مسعود فلوسي

حظي الإمام العلاّمة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي وآثاره الفكرية والأدبية والعملية باهتمام واسع من قبل الباحثين والكتاب والمؤلفين، الذين مافتئوا- منذ وفاته -رحمه الله- قبل تسع وأربعين سنة- يدرسون الجوانب المختلفة لشخصيته العلمية والأدبية والفكرية، ويدبجون المقالات الصحفية والبحوث العلمية والكتب الفكرية والرسائل الجامعية المبرزة لهذه الجوانب؛ عرضاً وتحليلاً واستلهاماً، شأنه في ذلك شأن أخيه وشقيق روحه ورفيق دربه الشيخ الرئيس الإمام عبد الحميد بن باديس -رحمه الله-. وقد ظهرت العديد من الدراسات الجامعية والمؤلفات الفكرية التي كتبت عن الإبراهيمي وتناولت بالدراسة والتحليل موضوعات وقضايا مختلفة، أسهم في كتابتها وتأليفها كتاب وباحثون جزائريون وعرب، نعرض عناوين بعض منها في هذا المقال الذي يأتي بمناسبة ذكرى مرور تسعة وأربعين عاما على وفاة الإمام -رحمه الله-.

مسيـــرة الحيـــاة

عاش الإبراهيمي حياة طويلة نسبياً امتدت على مدى ستة وسبعين عاماً، وكانت حافلة بالأحداث والمواقف والتقلبات، والأسفار والرحلات، والجهود الكبيرة والأعمال الجليلة، ولذلك عني عدد من الباحثين والمؤلفين باستعراض مسيرة حياة الإبراهيمي والمراحل التي مر بها والأحداث التي عاصرها والمواقف التي وقفها من هذه الأحداث، والجهود التي بذلها في خدمة دينه ولغته ووطنه، ومن هذه الأعمال، بحسب ترتيب ظهورها الزمني:

-1 «الإمام الرائد محمد البشير الإبراهيمي في ذكراه الأولى»، جمع وتقديم: محمد الطاهر فضلاء، مطبعة البعث، قسنطينة، ط1، 1967م، 225ص.

-2 «البشير الإبراهيمي: عظيم من الجزائر»، عادل نويهض (لبنان)، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط1، 1406هـ، 1986م، 143ص.

-3 «محمد البشير الإبراهيمي شيخ العلماء وفارس البيان»، بشير كاشة الفرحي، دار الآفاق، الجزائر، 2004م، 110ص.

-4 «ذكرياتي عن الإمامين الرئيسين عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي»، باعزيز بن عمر، منشورات الحِبْر، الجزائر، 2006م، 142ص.

-5 «الشيخ محمد البشير الإبراهيمي وقضايا عصره 1889-1965م/1306-1382هـ»، رسالة ماجستير بالمدرسة العليا للأساتذة في بوزريعة بالجزائر، إعداد: سعدية بن حامد، إشراف: شاوش حباسي، 2006م، 196ص.

-6 «قبسات من شخصية الإمام محمد البشير الإبراهيمي»، توفيق جمعات، منشورات الحياة للصحافة، الجلفة، ط1، 2010م، 297ص.

-7 «محمد البشير الإبراهيمي في المشرق العربي (1911-1920/ 1952-1962)»، رسالة ماجستير في قسم التاريخ، جامعة الجزائر2، إعداد: سعيدة صدوق، إشراف: شرف الدين أحمد رضوان، 2010-2011، 240ص.

-8 «الشيخ البشير الإبراهيمي: إمام في مدرسة الأئمة»، محمد عمارة (مصر)، دار السلام، القاهرة، ط1، 2011م، 90ص.

اللغـــة والأدب

هذا، ولعلّ الجانب الأبرز الذي تبارت الأقلام في إبرازه من جوانب شخصية الإبراهيمي، هو الجانب اللغوي والأدبي الذي ضرب فيه الإمام بقسط وافر وسبق فيه سبقاً بعيداً، فالرجل قد أوتي استبحاراً منقطع النّظير في اللغة العربية وعلومها وفنونها وآدابها، وحفظ عشرات الآلاف من نصوصها شعراً ونثراً، وبلغ في الفصاحة والبيان مبلغاً طمحت للوصول إليه قلوب كبار الأدباء واللغويين في هذا العصر، وكان الإبراهيمي حيثما حلّ وفي أي مجلس نزل وفي أي مقام وقف يبهر القلوب بسحر بيانه وجودة كلامه وروعة خطابه، ولذلك، ما إن توفي حتى انتبه الدارسون والمؤلفون إلى أهمية دراسة هذا الجانب من شخصيته، وإبراز خصائصه التي تميز بها عن غيره.

ومن الرسائل الجامعية والكتب التي أعدت حول هذا الموضوع:

-9 «نثر الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في الفترة من 1929 إلى 1939م»، أطروحة ماجستير، معهد الآداب والثقافة العربية بجامعة قسنطينة، إعداد: محمد العيد تاورتة، إشراف: شكري محمد عياد، 1980-1979، جزءان: 720ص.

-10 «البشير الإبراهيمي أديباً»، رسالة ماجستير، كلية الآداب بجامعة بغداد، إعداد: محمد عباس، 1983م، وقد ظهرت هذه الرسالة في كتاب صدر عن ديوان المطبوعات الجامعية في الجزائر سنة 1987م.

-11 «البشير الإبراهيمي واللغة العربية»، رسالة

ماجستير، كلية الآداب بجامعة دمشق، إعداد: محمد مهداوي، 1987م، 233ص، وقد أخرج المؤلف هذه الرسالة في كتاب بعنوان (الشيخ البشير الإبراهيمي نضاله وأدبه) صدر عن دار الفكر بدمشق في طبعته الأولى 1408هـ، 1988م، 280ص.

-12 «بناء الأسلوب في المقالة عند الإبراهيمي: دراسة وصفية تحليلية فنية»، عبد الحميد بوزوينة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988م، 161ص.

-13 «فن المقال عند محمد البشير الإبراهيمي»، رسالة ماجستير في الأدب العربي، جامعة عين شمس، القاهرة، إعداد: عقيلة صخري، إشراف: زاهر عبد الهادي، 1990، 478ص.

-14 «القيم الإنسانية والجمالية في النص الأدبي الحديث: (عيون البصائر) نموذجا»، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، معهد اللغة والأدب العربي، إعداد: حسن خليفة، إشراف: مختار بولعراوي، 1996م، 265ص.

-15 «الجملة الطلبية في عيون البصائر للبشير الإبراهيمي: دراسة نحوية دلالية»، رسالة ماجستير بجامعة قسنطينة، إعداد: يمينة قرفي، إشراف سامي عبد الله الكناني، 2005م، 216ص.

-16 «فلسطين في أدب الإبراهيمي: دراسة تحليلية فنية»، مذكرة ماجستير بجامعة قسنطينة، إعداد: السعيد بوبقار، إشراف: حسن كاتب، 2008م، 312ص.

-17 «النثر الفني عند البشير الإبراهيمي»، عبد الملك بومنجل، بيت الحكمة، العلمة (سطيف)، ط1، 2009م، 128ص.

-18 «الأساليب اللغوية والبلاغية في (عيون البصائر) للشيخ محمد البشير الإبراهيمي»، رسالة دكتوراه بقسم اللغة العربية، جامعة الجزائر2، إعداد: السعيد حمودي، إشراف: بلقاسم ليبارير، تاريخ المناقشة: 1 مارس 2011، 363ص.

-19 «استراتيجيات الخطاب في رواية الثلاثة لمحمد البشير الإبراهيمي»، إبراهيم براهمي، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة - الجزائر، ط1، 2013م.

الإصـــلاح والـدعـــوة والتربيـــة

لقد فرضت الظروف التي عاشها الإمام الإبراهيمي أن يهتم بجانب آخر غير اللغة والأدب؛ ألا وهو جانب الإصلاح والدعوة والتربية، حيث إن الواقع الجزائري في النصف الأول من القرن العشرين كان يتميز بانحطاط حياة الجزائريين في كافة المستويات، خاصة من ناحية الوعي بالذات والواقع، وهو ما استدعى أن ينهض الإمام الإبراهيمي رفقة عدد من إخوانه العلماء لتغيير هذا الوضع وإصلاح أحوال البلاد والعباد، وقد وظفوا مختلف وسائل الدعوة والتربية والتغيير التي من شأنها أن توصل إلى الغاية التي نهضوا لأجلها والهدف الذي عملوا على تحقيقه.

وقد كتبت عدة دراسات ومؤلفات عن فكر الإبراهيمي وجهوده الإصلاحية والدعوية والتربية، منها:

-20 «الأسس النظرية لمنهج التغيير عند محمد البشير الإبراهيمي»، رسالة دكتوراه دولة بمعهد أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، إعداد: محمد زرمان، إشراف: العربي دحو، تاريخ المناقشة: 7 نوفمبر 1995، 600ص.

-21 «محمد البشير الإبراهيمي وفكره الإصلاحي (1889-1965م)»، رسالة ماجستير في كلية الشريعة بالجامعة الأردنية، عمان، إعداد: حمدي أحمد عبد القادر عضيبات (الأردن)، إشراف: عبد المجيد الشناق، 1997، 145ص.

-22 «فلسفة التجديد الإسلامي: نموذج الشيخ محمد البشير الإبراهيمي»، محمد زرمان، دار الصحوة، القاهرة، ط1، 1419هـ، 1999م، 192ص، صدرت منه طبعة جديدة في دار الأعلام بالأردن، بعنوان «فلسفة التجديد الإسلامي: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي أنموذجا»، 2014م.

-23 «بناء النسق الفكري عند محمد البشير الإبراهيمي: قراءة في ظل البنية والمتغير»، عمر بوقرورة، دار الهدى، عين مليلة، ط1، 2004م، 112ص.

-24 «الدور الإصلاحي والنشاط السياسي للشيخ محمد البشير الإبراهيمي على نهج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (1931-1944)»، إبراهيم مهديد، دار قرطبة، الجزائر، 2006م، 142ص.

-25 «التجديد عند البشير الإبراهيمي منهجه ومضامينه»، مذكرة ماجستير، كلية الشريعة وأصول الدين والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2008-2007، إعداد: إبراهيم بريك، إشراف: محمد زرمان، 278ص.

-26 «مقومات الفكر الإصلاحي عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي»، يوسف القرضاوي، المكتب الإسلامي ببيروت ودار الوعي بالجزائر، ط1، 1428هـ، 2007م، 110ص.

-27 «الفكر التربوي عند محمد إقبال ومحمد البشير الإبراهيمي: دراسة مقارنة»، رسالة دكتوراه بقسم علم النفس، جامعة الجزائر2، إعداد: مرزاق بيبي، إشراف: مسعود عباد، 2007م، 371ص.

-28 «الخطاب الدعوي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: دراسة مقارنة بين عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي»، مذكرة ماجستير بكلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة باتنة، إعداد: شهرة شفري، إشراف: محمد زرمان، 2009-2008، 266ص.

المـواقف الوطنية والسياسية

إن عمل الإبراهيمي ونشاطه في المجال الإصلاحي والتربوي والدعوي، لم يشغله عن الاهتمام بواقع الجزائريين في الميادين المختلفة وواقع العرب والمسلمين عامة، خاصة في الميدان السياسي، وقد وقعت وقائع وحدثت أحداث استدعت أن يقف منها الإبراهيمي مواقف خاصة، جهر فيها برأيه وأبان فيها عن الحقيقة كما هي في الواقع، وخاصة فيما يتعلق بفضح دسائس الاستدمار وكشف أساليبه ومكائده التي كان يسعى بها إلى البقاء الأبدي في الجزائر وسائر البلاد التي كان يحتلها ويسيطر عليها ويستأثر بخيراتها وثرواتها.

ومن الدراسات التي عالجت هذا الجانب من حياة الإبراهيمي وشخصيته:

-29 «الاستبداد والاستعمار وطرق مواجهتهما عند الكواكبي والإبراهيمي»، أسعد السحمراني (لبنان)، دار النفائس، بيروت، ط2، 1407هـ، 1987م، 148ص.

-30 «الخطاب السياسي في الجزائر بين سنتي 1940-1954: الشيخ الإبراهيمي نموذجاً»، رسالة في قسم الثقافة الشعبية بجامعة تلمسان، إعداد: عبد الكريم كسوم، إشراف: محمد نور، 1998-1997.

-31 «معالم الفكر السياسي والاجتماعي عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي»، محمد زرمان، جامعة باتنة، الجزائر، ط1، 1419هـ، 1998م، 237ص.

-32 «الشيخ البشير الإبراهيمي ودوره في القضية الوطنية (1920-1965م)»، رسالة ماجستير بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة، إعداد: بشير فايد، إشراف: عبد الكريم بوالصفصاف، 1421هـ، 2000م.

-33 «إشكالية الهوية في فكر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: محمد البشير الإبراهيمي»، إعداد: شهيدة لعموري، إشراف: إسماعيل زروخي، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية، قسم الفلسفة، 2007م، 171ص.

-34 «الإبراهيمي ونضال الكلمة»، محمد زرمان (الجزائر)، دار الأعلام، الأردن، ط1، 1431هـ، 2010م، 128ص.

-35 «قضايا العرب والمسلمين في آثار الشيخ البشير الإبراهيمي والأمير شكيب أرسلان: دراسة تاريخية وفكرية مقارنة»، إعداد: بشير فايد، إشراف: عبد الكريم بوالصفصاف، أطروحة دكتوراه علوم بجامعة قسنطينة، 2010م، 711ص.

-36 «الإمام محمد البشير الإبراهيمي داعية الوحدة العربية»، بشير فايد (الجزائر)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1434هـ، 2013م، 32ص.

أعمـــال جماعيـــة

إلى جانب الدراسات الجامعية والمؤلفات الفكرية التي ذكرناها فيما سبق، صدرت عن الإمام الإبراهيمي عدة أعمال جماعية، تعاون على إعداد كل واحد منها عدد من الكتاب والباحثين، نذكر منها:

-37 عدد خاص من مجلة «الثقافة»، الجزائر، السنة الخامسة عشرة، العدد: 87، شعبان، رمضان 1405هـ/ مايو، يونيو 1985م، وقد جاء عددا حافلا بالمقالات الفكرية والأدبية التي تحدثت عن الإمام الإبراهيمي، والمسطرة بأقلام عدد من تلاميذه وعارفيه من الجزائريين وغيرهم، نذكر منهم: عبد المجيد مزيان، عبدالرحمن شيبان، محمد الغزالي، محمد حافظ الجمالي، شكري فيصل، إبراهيم السامرائي... وقد أعادت دار الأمة في الجزائر تصوير هذا العدد وإصداره في كتاب يحمل عنوان «الشيخ البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه»، ط2، 2007م، 456ص. ويعتبر هذا الكتاب أو هذا العدد من مجلة «الثقافة» وثيقة تاريخية مهمة، لأنها تتضمن شهادات حية لعلماء وأدباء ومفكرين عايشوا الإمام عن قرب وسمعوا منه ونهلوا من معينه.

-38 ملف شامل عن الإمام الإبراهيمي في العدد الرابع من مجلة «الموافقات»، جوان 1995م، هذه المجلة التي كانت تصدر عن المعهد الوطني العالي لأصول الدين في الخروبة بالجزائر العاصمة، تحت إشراف مدير المعهد حينئذ الأستاذ الدكتور عبد الرزاق قسوم، وهو ملف زاخر بالبحوث والدراسات التي أعدها نخبة من الباحثين الجزائريين من مختلف جامعات الوطن، حيث تناول كل واحد منهم، بالدراسة والتحليل والعرض، جانبا من جوانب حياة الإمام الإبراهيمي وفكره وجهوده.

-39 «الشيخ محمد البشير الإبراهيمي العلامة المصلح والداعية الأديب»، كتاب جماعي أصدرته جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، بمناسبة تخرج الدفعة الثانية والعشرين من طلابها، رجب 1430هـ، جويلية 2009م، 434ص، وقد تضمن هذا الكتاب كذلك بحوثا ومقالات عن الجوانب المختلفة من حياة الإمام الإبراهيمي وشخصيته العلمية والفكرية والأدبية، كتبها عدد من أساتذة جامعة الأمير عبد القادر وغيرهم من أساتذة الجامعات الجزائرية، وقد أسهمتُ في هذا الكتاب ببحث عنوانه «لمحات من الفكر الفقهي عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي».

-40 عدد خاص من مجلة «الوعي»، وهو العدد الثاني من هذه المجلة التي كانت تصدر عن دار الوعي بالجزائر العاصمة، ظهر هذا العدد في ذي القعدة 1431هـ، نوفمبر 2010م، وجاء في 96 صفحة من الحجم الكبير، وتضمن مقالات وبحوثا تناولت بالدراسة مختلف إسهامات الإمام الإبراهيمي الفكرية والثقافية والأدبية والتربوية وغيرها، وقد أكرمني الله بالمشاركة في هذا العدد بمقال بعنوان «مقياس الرجولة والعظمة في نظر الإمام الإبراهيمي».

هذا ما أمكنني الوقوف عليه مما كتب عن الإمام الشيخ محمد البشير الإبراهيمي -رحمه الله- من رسائل جامعية وكتب، ولا شك أن هناك غيرها مما لم أطلع عليه، وليس هذا فقط ما عندي مما كتب عن الإمام، فهناك العشرات من بحوث المجلات الأكاديمية والمقالات الصحفية، مما لا يمكننا استقصاؤه وتضمينه هذه المقالة، ولعل الله عز وجل أن ييسر لي أو لغيري إعداد ثبت مكتبي (ببليوغرافي) شامل عن الإمام -رحمه الله- يجمع عناوين كل ما كتب عنه، وما ذلك على الله بعزيز.

• جامعة باتنة

فعاليـــات الـملتقـى الوطنـــي الرابــع بعيــن ولـمـــــان :

جمعيـــة العلمـــاء الـمسلمين الجزائريـين ومرتكـــزات الهـويـــة الوطنيـــة

تحت الرعاية السامية للسيد والي ولاية سطيف نظمت شعبة عين ولمان لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين الملتقى الوطني الرابع بعنوان : "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومرتكزات الهوية الوطنية" بالمعهد الوطني المتخصص في التكوين المهني بعين ولمان في يومي الجمعة والسبت 16/17 رجب 1435هـ الموافق لـ 16/17ماي 2014م، وقد حضر هذا الملتقى جمهور نوعي غفير.

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
و مرتكزات الهوية الوطنية
بالمعهد الوطني المتخصص في التكوين المهني بعين ولمان
يومي 17-18 رجب 1435 الموافق لـ: 16-17 ماي 2014

افتتحت أشغال الملتقى في صبيحة اليوم الأول بتلاوة آيات من الذكر الحكيم والاستماع للنشيد الوطني ونشيد"شعب الجزائري مسلم" ونشط الافتتاحية الدكتور عبد المجيد بيرم الأمين العام لجمعية العلماء، الذي فسح المجال للأستاذ عبد الفتاح داودي رئيس شعبة عين ولمان، حيث ألقى كلمة ترحيبية باسم الشعبة وسكان مدينة عين ولمان المضيافة التي فتحت ذراعيها دائما للعلماء، وأوضح أن اختيار الموضوع كان من أجل دلالة الزمان الذي يقترن بذكرى تأسيس الجمعية وذكرى وفاة الشيخ الإبراهيمي وغيرها من الذكريات الوطنية، ودلالة المكان فعين ولمان مدينة تاريخية صنعت التاريخ بالمقاومة بأنواعها الحضارية ورمز الدفء والنقاء ووطن العلم والعلماء، وبالمناسبة شكر السلطات المحلية على مساهمتها في إنجاح هذا الملتقى.

وفي كلمته أكد الأستاذ العمري لكحل عضو مجلس الأمة على أهمية دور الجمعية الذي لعبته في نهضة الجزائر وتربية الأجيال رغم التحديات التي واجهتها، وذلك بعزيمة رجالات جمعية العلماء من أجل التغيير والإصلاح...

ورحب السيد محمد الصالح بن جدية رئيس بلدية عين ولمان بالحاضرين وتمنى للعلماء والأساتذة الحاضرين إقامة مريحة والنجاح في أشغالهم متمنيا استمرار هذا الملتقى في طبعات أخرى مثمرة وناجحة.

أما الشيخ أحمد ظريف رئيس شعبة ولاية سطيف فقد ذكر في كلمته أن جمعية العلماء اليوم تسير على خطى الأسلاف المؤسسين لها الذين عملوا على توحيد الأمة وإحياء قيمها والمحافظة على مقوماتها الأساسية رغم تنوع التحديات وصعوبة المرحلة.

وتناول الدكتور شكيب أرسلان باقي مدير جامعة سطيف الكلمة، حيث عبّر عن سعادته الغامرة لانعقاد هذا الملتقى خارج أصوار الجامعة حتى يعم النفع، واعتبر أن ابن باديس -رحمة الله عليه- ما يزال حيا بوجود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين واستمرار عطائها في الواقع.

وأكد الأستاذ سليم لرقم مدير الشؤون الدينية والأوقاف لولاية سطيف أن المساجد مفتوحة لعلماء الجمعية حتى ينتفع الناس بعلمهم، وأشار إلى أن الحرب على الهوية أشد ضراوة من الماضي، وقد اتخذت أشكالا متنوعة مما يوجب على جميع المخلصين توحيد الجهود من أجل حمايتها.

وكان مسك ختام الجلسة الافتتاحية الدكتور عبد الرزاق قسوم رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذي أشار في كلمته إلى أن الزمان والمكان والإنسان هم دعائم ومرتكزات الهوية، مؤكدا أن أمتنا تعيش اليوم أزمة هوية وانتماء، وأن شهر ماي جسد معالم التضحيات التي قدمها الأسلاف، وهذه الذكريات معبرة بحق عن الجهود التي بُذلت من أجل التحرير الحضاري للمكان والزمان والإنسان.

ولم ينس في كلمته الإشارة إلى أن شهر ماي فيه تذكير لهمنا الأول "ضياع فلسطين" وأكد أن الاستقلال لن يكتمل إلا بتحرير فلسطين وقدسها...واعتبر الدكتور قسوم أن الجامع والجامعة والجمعية هم دعامات حفظ الهوية...

ونبه إلى ضرورة الانتقال من القول إلى العمل ومن الكلام إلى الفعل لحماية الهوية وتحصينها من كل أسباب التهديد والتهديم.

أما في الفترة المسائية من اليوم الأول للملتقى فقد ألقى الشيخ سالم بن يونس النائب الثالث لرئيس الجمعية محاضرة بعنوان:"أسس ومقومات الهوية الوطنية في مشروع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" إذ بعد شرحه لمصطلح الهوية والثقافة أعطى لمحة عن أساليب الاستعمار الفرنسي للمساس بخصوصيات الهوية الجزائرية، وقد وجد بالمقابل مقاومة عامة من الجزائريين.. وأشار إلى أن الإصلاح كان موجودا وتدعم بتأسيس جمعية العلماء فيما بعد ليقين المؤسسين الأوائل أن الإصلاح الجماعي أنفع وتأثيره أعظم..مؤكدا في الوقت نفسه أن جمعية العلماء قد غرست روح الوطنية في الشعب وحمتها على أساس أنها إحدى الأركان التي تقوم عليها الوحدة الوطنية...

وقد كشف الدكتور عبد القادر فضيل في محاضرته التي كانت بعنوان:"جوانب من معركة الهوية في الجزائر" عن مشاريع خصوم الهوية الوطنية للقضاء عليها أيام الاحتلال الفرنسي وبعد الاستقلال، مشيرا إلى أن هناك حربا شرسة على مقومات الهوية والثوابت الوطنية، وقد كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائيين رائدة في الدفاع عنها وتحصينها وحمايتها..وبعد تفكيكه لعناصر الصراع القائم على الهوية بين حماتها وخصومها أعطى الدكتور فضيل أمثلة من الواقع ترسم صورة واضحة لمحاولات خصوم الهوية الوطنية الرامية لتهدمها وتعويضها بهوية غريبة عن مكونات الشعب الجزائري..وبالمناسبة حذر من التعليم الخاص الذي أصبح أحد روافد مشروع هدم هويتنا.

وشارك الدكتور عمار جيدل أستاذ بكلية العلوم الإسلامية الخروبة في الملتقى بمحاضرة عنوانها:"المرجعية..الواقع والمأمول" حيث أوضح أن المرجعية ليست مجرد كلام بل هي معان عميقة تكوّن رؤية واضحة للجهة التي تصنع الذات وتوجهها في إطار مفاهيم جامعة عبر تنظير في سياق لا يخالف مرتكزات هويتنا..واعتبر أن جمعية العلماء غنية بالتنظيرات الوطنية التي فاقت فيه كثيرا من المرجعيات المشرقية..وقد أكد على أن ابن باديس رحمه الله من المدارس المتقدمة جدا في الإدراك والفهم والتنظير...

وتواصلت أشغال الملتقى صبيحة يوم السبت 16 ماي، تضمنت جلستين علميتين. كانت الجلسة الأولى ترأسها الدكتور عبد القادر فضيل، وشارك فيها الدكاترة: عمار طالبي، أمينة بشي ومولود عويمر. واهتم الدكتور طالبي نائب رئيس جمعية العلماء بتأصيل مصطلح الهوية على ضوء الفلسفة الإسلامية، بينما تطرقت الدكتورة بشي أستاذة الأدب العربي بجامعة الجزائر1 إلى هوية المرأة في الخطابي الإصلاحي الجزائري. أما الدكتور مولود عويمر الأمين الوطني للإعلام والثقافة وأستاذ بجامعة الجزائر 2 فإنه حلل مفهوم الوحدة عند جمعية العلماء من خلال دراسة نماذج نظرية لخصها في أربعة عناصر: الدين اللغة، الوطن، الشعور المشترك. ثم استعرض المحاضر وقائع تاريخية تجسدت خلال تجربة جمعية العلماء في مجال الوحدة الفكرية والسياسية بين 1931 و1956.

وبعد المناقشات والتعقيبات واستراحة قصيرة، استؤنفت أعمال الجلسة العلمية الثانية التي أدارها الأستاذ حسن خليفة، وشارك فيها كل من الأستاذ محمد شريف بغامي مدير المعهد الوطني لتكوين الأسلاك الخاصة في الشؤون الدينية والأوقاف بباتنة، والأستاذ تهامي مجوري الأمين الوطني للعلاقات العامة، تكلم الأستاذ بغامي عن البعد الأمازيغي في أدبيات جمعية العلماء.

و مرتكزات الهوية الوطنية
بالمعهد الوطني المتخصص في التكوين المهني بعين ولمان
يومي 17-18 رجب 1435 الموافق لـ: 16-17 ماي 2014

ثم تحدث الأستاذ مجوري عن أهم التحديات التي تواجه اليوم جمعية العلماء.

تابعت هذه الجلسة مناقشات وتعقيبا وأسئلة، ثم اختتمت أعمال هذا الملتقى العلمي الناجح بكلمة توجيهية قدمها الأستاذ أحمد ظريف رئيس الشعبة الولائية لجمعية العلماء. وقرأ في الأخير الأستاذ مصطفى عبد الرحمان عضو اللجنة العليا الاستشارية للجمعية توصيات المؤتمرين، ولعل من أبرزها التوصيات التالية:

-التأكيد على أهمية تعميق دراسة موضوعي الهُوية والمرجعية، وتنزيل المفاهيم النظرية المُتطرق إليها على أرض الواقع؛

-التعاون مع الوسط الأكاديمي والمؤسسات العلمية والاجتماعية المشتغلة بموضوع الهوية والمرجعيات الوطنية لدراسة هذه المسائل الهامة دراسة ميدانية تطبيقية واقعية.

-استحداث ورشات متخصصة في الجمعية لترجمة شعار الجمعية "الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا" إلى واقع عملي، كما كانت تفعل الجمعية من قبل.

-طبع أعمال الملتقى لتعميم الفائدة.

هيئة التحرير

عيون الأدب عيون الأدب عيون الأدب

التّبيان في ذكرى وفاة ملك البيان

إلى روح جدي الأكبر في الأدب لا النسب- الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله تعالى في ذكرى وفاته، أسوق هذه المحطات.

هو محمد البشير، العالم الكبير، والجهبذ النّحرير، والأديب اللبيب، والشّاعر الأريب، هو من أشرف القومِ أصلا ومحتدا، وصدرا ومواردا، ونجما وفرقدا، كان غُصّةً في حُلوق العدى، أذاقهم السّمّ الزّعاف بل الرّدى، وكان للصّحب غيثا وموردا، ومنهلا للجُود والنّدى، ما غرّدَ طائرٌ أو شدا، والحمد لله لم تذهبْ جهوده سُدى.

يعود نسبه إلى الأشراف الأدارسة، ذوي الأطلال الباقية لا الدّارسة، الضّاحكة لا العابسة، فأكرمْ يا جزائريّ بالأشراف الأدارسة!

لقد عاش في هذا البيت، على قنديل الزّيت، لا يؤمن بـ»لو» ولا بـ «ليت»...!

علّمه عمّه «محمد المكي» الأصول والمُتون، ولقنه شتّى ضُروب العلوم والفنون، فأتى بما لم يأتِ به الأوّلون، فقرّتْ به العيون، ونام مِلْءَ الجفون، مثلما نام «أبو الطيّب» في تلك السّنون.

بعدها يمّم شطر تونس الخضراء وتفيّأ ظلالَ «الزيتونة» الميمونة بجامعها العتيق، ودرسِها المُمّحص الدّقيق...

ارتشفَ من منهل» الزيتونة»، تلك الجامعة الميمونة، والدّرّة المصونة، والجوهرة المكنونة، في أفئدة كل جزائري ساكنةً مدفونة، لكن وا أسفا على الزّيتونة..!، صيّرها أراذلُ القوم اليوم مَهيضةَ الجناح مغبونة.

ثم غادر إلى مصر المحروسة، في رحلة قصيرة مدروسة، طلبا للعلوم النّفيسة المحسوسة، وهناك التقى بقادة الرأي وأعلام الفكرِ وجهابذة العصر، ومصاقعة الدّهر، من كل قُطر ومَصر، فأفاد واستفاد، ونهل من أزهرها الشّريف خير زاد، فصار في الورى الأسّ والعِماد.

بعدها غادر إلى الحجاز، مهبط الوحي ومصدر الإعجاز، وسكنَ المدينة، فتحرّكت لواعجُه الدّفينة، وهناك التقى رفيقِ دربه، وبُطينَ قلبه»ابن باديس» الإمام، والمصلح الهُمام، والأسد الضّرغام، في ساح مُقارعة اللئام الأشرار، فتدارسا أحوال الجزائر تحتَ نيرُ الاستدمار.

وبعد ثورة الحسين الشّريف- وما هو بشريف من يتحالف مع العدوّ ويُناصر الزّيف، ويقلبُ ظهرَ المِجنّ للطّاهر العفيف-، يهاجرُ العلاّمة الهُمام، إلى بلاد الشّام، فتبتسم له الأيام، وتُرخي له الزّمام.

وهكذا ساقته الأقدار، بعد حنين وادّكار، إلى شآم الأحرار، وهناك حلّق وطار، وصار أشهرَ من علم فوقه نار...

أنشدَ للغوطة الغنّاء، مواويلَ تُقطّع القلوب وتُمزّق الأحشاء، وشدا لدمشق الفيحاء، وترنّم لحلب لشهباء، روائع الدّرّ وغنج الدّلال، بل السّحر الحلال، والماء الزّلال بلا جدال.

لقد خلّف ضراغمةً وأشبالا، وربّى لُيوثا ورجالا، صاروا فهودا وأسودا وأبطالا، رضعوا لبان علمه شهْدا و حليبا، فنبغَ فيهم «جميل صليبا»...

عرفه الجامع الأموي، في عصره الذهبيّ، فكان نِعم الأستاذ اللّغويّ، والشّيخ المربي الأبيّ...

ولمّا نادى المُنادي، حيّ على الجهاد، لبّى النّداء، وعاد للجزائر الجريحة الولهاء، وأسّس رفقة أخيه «ابن باديس» جمعية العلماء، لإحياء ماض تليد، وتاريخ مجيد، حاول طمسَه الاستدمار الرّغيد.

ماذا عساني اليوم أقول في شيخ جليل حارب الجهل والحَيْف، والبدع والزّيف، ورسم معالم الحقّ بالحكمة لا بالسّيف، فهو المصلح الفقيه، والزّاهد النّبيه، والشاعر النّادر، والبحر الهادر، بل المحيط الزّاخر، باللآلىء والجواهر، فأكرمْ به من مصلح ثائر!

لقد أخذ بيد النّشء إلى الفلاح والنّجاح، وغرس في قلوبهم محبّة آي القرآن والحديث الصّحاح، وأذكى مروءة العرب الأقحاح، ونشر الخير ونثرَ بُذور الإصلاح، فوق هذه الوهاد والبطاح.

و هو ثاني اثنين في الجمعيّة، بعزيمة قويّة، وهمّة ذكيّة، وسريرة نقيّة، ونفس أبيّة، إنّه الأديب اللّبيب، واللّغوي الأريب، العلاّمة الأمجد، والدرّاكة الأسعد، والنابغة الأوحد...

هو الفهّامة اللّوذعيّ، والعلاّمة الألمعيّ، والخطيب الأروعيّ، والمُفوّه السّميذعيّ: شيخنا البشير الإبراهيميّ الذي جمع فصاحة اللسان، وقوّة الجنان، ونصاعة البيان، فخجل من سحره سحبان.

لقد فاق «الأصمعيّ» في غريب اللغة والأنساب، وبَزّ «قُسّ بن ساعدة» في البلاغة وفصل الخطاب، وأغاظ البُلغاء والوُعّاظ في سوق عكاظ، حتّى قلّده «عبد المالك مرتاض»، فلم يأتِ سوى بالرّذاذ.

أبهر «علي الطنطاوي» في سرعة البديهة، والحافظة العجيبة النّبيهة، فهو كعنترة يوم الوغى والكريهة.

هو من نادى طول المدى: لن يتحرّر جسدٌ يحمل عقلا عبدا... وأنا أقول صدقت يا شيخي «البشير» فقد كنتَ في نحر «قمير» برقا ورعدا، ومُهنّدا صمصاما صَلدا، لم يعرف يوما له غمدا، ممتشقا للعلا صُعدا.

كان أسدا هصورا، وهزبرا على الأهوال جَسُورا، ومُصلحا فذّا صبورا، ومجاهدا غيورا، يبغي تجارةً لن تبورا...

لقد أتى في منفاه بـ»آفلو» بالفرائد، فزيّن الطّروس بالقلائد ، فأكرمْ بها من درر وفوائد...!

حاز التقدير والوقار، وغرّد في سمائنا مثل الهزّار، فحفظ الأسرار، وبلّغ الرّسالة بكلّ اقتدار، أكرمْ به من شهم مغوار، لا يشقّ له في ميدان البيان والجهاد غبار..!

هو من وَشَمَ على جيدِ الجزائر الحُبّ الصادق، ورسَم على هامتها الوفاءَ الخارق، ووسَم على قامتها الوردَ والزّنابق، ودبّجَ بالدّمقس والنّمارق، أحلى الرّقائق، وأقسم في حبّها بـ»السّماء والطّارق»، ولاغرو فهو سليل عقبة وطارق.

هو الرّجل الرّشيد، والعقد الفريد، والبلبل الغرّيد، والفكر السّديد، والمربّي الفذّ الصّنديد، ومسطّر المجد التليد، لأمّة لن تبيد، بعزم يفلّ الحديد، وحزم يقهر الجبان الرّعديد. وها هي ذكراه، تتردّد على الشّفاه، فكيف بربكم نسلو عنه أوننساه؟!

ذكراه دوما تعود، بالخير والبشر والسّعود، فترسم على الشّفاه البسمة واليُمَنَ والجود، فكيف ننساه وهاهي ذكراه تتجدّد ويتردّد صداها في الوجود، ولابدّ أن تعود لتأخذ بناصية الأجيال وتقود، إلى المجد والسؤدد والصّعود، وتنثر عبقها مثل العنبر والعود، ويتضوّع أرجُها ليُسكِرَ الزّهر والورود، وأيْمُ الله هذا لساني «لي ياكلوا الدّود» عاجز عن التعبير في حضرة أسد الأسود.

ومهما أسهبتُ وأطنبت، ودندنتُ وأطربت، فلن أزيد في القمر نورا، أو في نفوس الورى سرورا. لقد كان السّنا والشعاع، والمؤانسة والإمتاع والإقناع، وروعة الفكر وقمة الإبداع، وحكايته مع فتنة الضّاد صنعت الدهشة والإمتاع، وترحاله في أرض الله بسطَ له جناح الفهم والإقلاع بلا شراع.

لقد تعرّفتُ على فكره منذ الصّغر، فطافت بخَلدي أحلى الصّور، معلّما مصلحا يريد الظّفَر، يبني العقول يدكّ الحجر، فيصنع في سنوات، شبه معجزات، وتصير الفيافي بساتين خصبٍ ربوع نماء وحياة .

حارب الجهل والجمود، وقطع آلاف الحدود، متحديا كلّ القيود، كاسرا جدران السّدود، فطلع النهار، وأزهرت القفار، وحقّق الانتصار، على فلول الاستدمار، وانجلى الصّقيع، وأمْرعَ عشبُ الرّبيع، واكتسى بالوشي البديع، معلنا ميلاد شعبٍ لا يبيع، حفنةً من ثرى الوطن المنيع.

حديثك العذبُ -شيخي- تذوقناه عذبا، أينع زهرا وحَبّا، وأورقَ وفاءً وحُبّا، وسكن فؤادا خاليا واستوطن قلبا، يهيم بحبّ الضادّ وينجذب إليها جذبا.

كلماتك-شيخي- ضمّدت جروحي، وبلْسَمت قروحي، وسمّتْ بهجتي وروحي، وشادت في الورى صروحي، وكانت ملهمتي بل نبضي وبوْحي...

هل يوجد أشجع ممّن عمل في أشرف ميدان، وذاد عن حرمة التعليم الحرّ والإصلاح بأقوى سلاح وأمضى سِنان؟ وهو ميدان بناء الإنسان، وتهذيبَ القرائح والأذهان؟

لقد بلّتْ نفحاته وشوارده اللغوية ما في جوانحي من الصّدى، وأنعشتْ عقلي الكليل انتعاشَ الزّهر بلَثْم قَطْر النّدى، وهزّتني فصاحتُه هزّةَ النّشوان، وسَحَرتْني آياتُه الحِسان، فجعلتني مثل العريد السّكران- وإنّ من البيان لسحرا-، هكذا نطق العدنان.

يا أحفاد الإبراهيمي الأمجاد:

لقد رضع جدّكم البشير لبان الضّاد، وتغنّى بها في كلّ ناد، وحمل رسالة الأجداد، بهمّة أعجزتْ الصّناديد الشّداد، وكان لأعدائها دوما بالمرصاد، وهاهو ذا يتركها أمانة بين أيديكم أيها الأحفاد، فهل تحفظون العهد، وتذودون عن هذا المجد؟

اسمعوا دُرر محمّد العيد آل خليفة حين صدح، مثل البلبل حتى بحّ، وتذوّقوا أبياته السائرة واضربوا النحّ:

له قلم إنْ رامَ دفعَ الأذى بـه
فرمحٌ رَدينيّ وسيفٌ مُهنّد
وإنْ رامَ إذكاءَ العقول فمشعل
وإنْ رامَ إرواءَ القلوب فمورد
وإنْ رامَ وصْفا فهو أجمل ريشة
لأبرع رسّام على الفنّ تُسعد
لقد كان للفصحى أباهَا وأمّهَا
ومرجعها إنْ ندّ أو شذّ مُغرَد

خاطرة

الوزن المقترن

مساحة شاسعة وزرقة ظاهرة وسحب راقصة كلهم في قمة واحدة، فالطير ينثر كلمة الوداع بموج الأجنحة، والليل يهلل للكواكب بأنوار ضاحكة.

فالطريق طويل والأراضي مذهبة بغروب الشمس المتوارية عن الجبال الشامخة لتطل على أبحر بعيدة المدى فتلقي عليهم تحية الصبح المشرقة.

هما عالمان..عالم كاحل وآخر نائر..كأنهما دنيا وقبر.. حياة وموت..أخضر ويابس.. هما حدث واحد، لكن جناحهما مغاير..فأحدها أعظم والآخر أهون.

فذات مرة سئل حكيم: ما الموت وما الحياة؟

فأجابهم بعد صمت ساكن إلى أن حُرِّك لسانه برياح الخشوع الباطن قائلا: إن الموت هو عودة المخلوق لأصله حتى يحاسب على أفعاله، وأما الحياة فهي نفس عميق يستنشق فيها التوبة ويستنثر فيها الذنب والمعصية، والفرق بينهما أن للحياة مجازفة وأن بعد الموت مغفرة؛ أي إن كنت من العابدين الحامدين والشاكرين للمولى عزّ وجلّ بعد كدّ وجهد وتعب، فإن ما بعد الموت مجازاة بالخير ومغفرة للذنب..

فهكذا هي الحياة يوم لنا ويوم علينا، فوجب على الإنسان حينها أن يتذكر ويتفكر ويتدبر في خلق الرحمن، لعلها تخرجه من الظلمات إلى النور فترسم له طريق التوبة والهداية وتخيطه وتمسكه من العروة حتى لا يسقط ويقع في نفس المعصية.

بقلم أمينة منصري

قصص من الواقع المر قصص من الواقع المر قصص من الواقع المر قصص من الواقع المر قصص من الواقع المر قصص من الواقع المر

قصة الهاتف الملعون

أعرفها شابة مستقيمة وذات خلق رفيع، نشأت في بيئة متدينة ومحافظة: أعرفها نشيطة ومقبلة على الحياة رغم التحديات والصعوبات، أعرفها متعلمة ومثقفة: أعرفها زهرة تشع رقة وجمالا وتفوح عطرا وعبقا.

بيد أن الشيطان اللعين حز في نفسه أن تفلت هذه الجوهرة النفيسة من قبضته، لذا جهز عدته وأعلنها حربا ضروسا ضد الاستقامة والطهارة.. ترى ما الوسيلة الناجعة للإطاحة بصولجان العفة؟.

أوحى إلى أحد أتباعه وما أكثرهم في هذا الزمان أن يوقع المسكينة فريسة أوهامه وشهواته، لجأ إلى الهاتف ليهتف في أذنها بكلمات رقيقة رقراقة تنساب شاعرية وجاذبية ليخترق شغاف قلبها الغض، فقلبها أصم أذنه عن سماع اسطوانة الحب الكاذب التي اجتاحت الرجولة الكاذبة والمزيفة، فهي سلاحه ليشبع نزواته المفلسة ورغباته الجانحة مستغلا وسائل التكنولوجيا الحديثة.

بعد أن أعرضت مرارا وتكرارا عن مكالماته المتتالية والمتتابعة بصورة ملحة ومذهلة عمد إلى الرسائل النصية فارضا وجوده ليبثها أشواقه وحبه الجنوني، واعدا إياها بالزواج وعرض عليها بكل وقاحة وقلة أدب أن يتبادلا الحب بواسطة الهاتف المحمول.

تعجبت المسكينة من هذا السلوك الجهنمي الذي يخفي بين طياته خطة الإطاحة بالعفة، فهو يريد بأسلوب الجاسوس المحترف أن يوقعها في شباك غدره بالصوت والصورة ثم يهددها للخضوع إلى نزواته، هذا ما كان يدور في خلده فهو عاطل عن العمل فلا سبيل لملئ الفراغ الذي أنهكه سوى التلاعب بالأرقام الهاتفية والعواطف الإنسانية.

الأستاذة آمنة خنفري

لطائف بلاغية عالية في آية الكرسي

أول ما يطالعك من بلاغة الآية الكريمة: روعة استهلالها، فقد بدأت بداية هي خير ما قاله النبيون-كلمة التوحيد- بعد اسمه ذي الجلال والإكرام، ثم إذا ختمت الآية وجدت عظمة الخاتمة: إذ العلو والعظمة: هما الصفتان المناسبتان لخالق السموات والأرض ومالكهما.

والأمر الثاني الذي يشنف السمع من القراءة الأولى، هو هذا الانسجام المطرب المعجب بين الحروف، فأكثر الحروف فيها هو اللام ثم الميم ثم حروف المد وحروف الحلق، وهذه المذكورة هي أعذب الحروف مخارج وأكثرها شيوعا في الكلام الفصيح البليغ، أما الأمر الثالث فهو بلاغة الإيجاز المعجز في كل مقطع من مقاطعها، بل إن بعض الكلمات لها ظلال ممتدة، حتى إن الكلمة الواحدة تحتاج إلى عدة صفحات لشرح مدلولها وظلالها، مثل كلمة: القيوم، ومعناها القائم على حفظ كل مخلوق في السموات والأرض وما بينهما والذي لا يقوم أي مخلوق إلا بقدرته، ومثل كلمة: الحي، إذ الحياة التي يتصف بها الله جلّ وعلا، لا يحدها زمان ولا مكان، فلا بداية لها ولا نهاية ولا يعتريها زوال ولا عدم، أما العبارات الموجزة أو المقاطع، فجميع مقاطع الآية غاية في الإيجاز البليغ.

{اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ}: كلمات قلائل قررت مبدأ التوحيد الخالص المصفى من جميع لوثات الشرك، لقد أغنت هذه الكلمات عن نفي كل أنواع الشرك في الديانات القديمة، وجميع أنواع الآلهة من نجوم وحيوانات وشمس، وملائكة ونار وحجارة وآلهة وهميين يتصارعون في خرافات!

{لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ}: إيجاز عن كناية عظيمة مترامية أطراف المعنى: فيهما إذ النعاس والنوم يتعارضان مع تدبير السموات والأرض، وكل ما فيهما من خلائق، وقد روى أن موسى عليه السلام سأل: هل ينام ربنا؟ فأراد الله أن يعلمه الجواب عملياً فأمره أن يحمل قارورتين، في كل يد قارورة ثم سلط عليه النوم فصحا وقد اصطدمت القارورتان إحداهما بالأخرى، ففهم أن الله جل وعلا لا ينعس ولا ينام، وإلا لاصطدمت السموات بالأرض.

{لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}: إيجاز شمل كل مخلوقات الله، ثم في تكرار كلمة: ما، تأكيد لشمولية الملك.

ومثل ذلك قوله تعالى: {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ} أي علم ما كان من القضاء والقدر والحوادث، كما يعلم ما هو كائن للخلائق إلى الأبد، وشرح هذا العلم المطلق يطول ويتطلب مجلدات، وفي تكرار كلمة: ما، توكيد للعلم عظمته وشموليته.

ومن أبلغ الإشارات البيانية في الآية الكريمة هذا الاستفهام البديع في قوله تعالى: {مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ}؟ وهو استفهام يحمل معنى النفي والإنكار والاستحالة، والعبارة كناية عن عدة صفات من صفات الله العلا، منها: المهابة التي لا يتحرك معها لسان إزاء عظمتها، ومنها انفراد الله جل وعلا بالشفاعة، أو العقوبة، ومنها: العلم المحيط الدقيق بأعمال العباد، وهو علم يجعل الشفاعة لا تمنح إلا لمن ارتضى رب العباد، ومنها القهر الإلهي من فوق كل الشركاء الذين عبدهم الكفار ليشفعوا لهم ويقربوهم إلى الله.

وفي قوله تعالى: {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} تعبير عن الكنايات المدهشة التي تعجز العقل أن يحيط بمراميها كاستواء الله على العرش ونزوله في الثلث الأخير من الليل ووضع قدمه في النار يوم القيامة حتى تقول: قط قط... إلى أخر ذلك، وإذ ذاك لا يملك العقل إلا أن يقول ما قال السلف: الاستواء حق والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة، ومثل هذه الكناية قوله تعالى في سورة الزمر: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الزمر:67].

ومن المواضع البلاغية أن كَلمتي العلى والعظيم جاءتا معرفتين، والتعريف في مثل هذه العبارة يفيد القصر أو الحصر، كما تقول: أخوك الناجح فتعنى أنه الوحيد، وأن النجاح مقصور عليه، ولو قلت: أخوك ناجح بالتنكير لما أفاد حصراً ولا قصرا؛ ولهذا جاء الاسمان الكريمان معرفين ليكون المعنى: {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} أي المتفرد بالعلو والعظمة، فالعلو والعظمة قصر عليه سبحانه، لا عظيم ينهض لعظمته، ولا عالي يرقى لعلوه.

لطائف التفسير، أحمد عقيلان.

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ
لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ
يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ
مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

ألـــــوان من الحيـــــــاة

باقـــــة حكـــــم ووومضات قلـــــم

تقديم: إسلام ساحلي

عن دار «مقامات للنشر والتوزيع» صدر كتاب للعلامة الأديب محمد الصالح الصديق تحت عنوان (ألوان من الحياة)

يقع الكتاب في 230 ص من القطع المتوسط وهو عبارة عن سياحة فكرية في عوالم مرصعة بنجوم فكرية وحكم ثقافية وفوائد تربوية ووقفات تأملية في آيات كونية.

ولعل هذا ما أشارت إليه مقدمة الكتاب: «إذا كانت هناك كتب تقرا للإفادة، وأخرى للتسلية، فإن هذا الكتاب قد جمع الغايتين وحقق الهدفين. أما التسلية فلأن أسلوبه أدبي جذاب لا يمل القارئ منه مع إيجاز العبارة وتوضيح الفكرة. أما الإفادة فلأنه عالج موضوعات نحن في أمس الحاجة إليها: فبعضها عن شخصيات يجدر الإقتداء بها لعلمها وأدبها أو وطنيتها وبطولاتها، أو لعطائها الفكري والقلمي وبعضها الآخر عن محاسن الأخلاق أو مساوئها».

كنموذج عن الشخصيات التي حباها الله بعلم غزير وخلق قويم رغم أنه لم ينل نصيبه من الشهرة بما يستحق العلامة الشيخ محمد بخيت المطيعي، الذي يعد أستاذ أجيال من أهل العلم ومفخرة الأمة الإسلامية والعربية.

وهو من مواليد بلدة المطيعة من أعمال أسيوط بمصر، انتصب للتدريس في جامع الأزهر ومن تلامذة هذا الإمام الفقيه الحجة عدد من علماء الجزائر النابغين أمثال الشيخ المولود الزريبي والشيخ الرزقي الشرفاوي والشيخ المولود الحافظي، وقد زاره الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس بعد عودته من أداء فريضة الحج وأجازه الشيخ المطيعي بشهادة عامة في شتى العلوم والمعارف التي يتقنها.

ومن صور أبطال حرب التحرير الجزائرية يطلعنا المؤلف على نموذج من تفكير العقيد عميروش آيت حموودة قائد الولاية التاريخية الثالثة حسبما ورد في رسالة له إلى أحد مجاهدي ثورة التحرير وهي مؤرخة في 19جانفي 1959 مكتوبة بالفرنسية وهذا نصها مترجم إلى العربية: «في ما يخص ولايتنا الثالثة فإن الوضع يمر على أحسن ما يرام، النجاح الذي حصدته وحداتنا، يرجع إلى تظافر جهود المواطنين ووفائهم للوطن، وهذه عادة هذا الشعب البطل. وهكذا يبدو العقيد عميروش واثقا في قدرات الشعب وشجاعة المجاهدين ومطمئنا لتحقيق النصر رغم أن الثورة كانت تمر بظروف عصيبة في ذلك الوقت، أما في مجال التأكيد على محاسن الأخلاق ويذكر في هذا الإطار خلق الحياء مستدلا بما قالته أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها: «مكارم الأخلاق عشرة: صدق الحديث، وصدق اللسان، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، والمكافأة بالصنيع، وبذل المعروف، وحفظ الذمار للجار، وحفظ الذمار للصاحب، وقرى الضيف، ورأسهم الحياء» فالحياء خلق خاص بالإنسان دون سائر الحيوانات وهو من أفضل الأخلاق وأجلها وأعظمها قدرا.. أما فعالية الحياء وأثره وجدواه، فشيء عظيم لا يحيط به وصف، فلولاه لم يكرم ضيف ولم تؤد أمانة ولم يقض دين، ولم تقض حاجة، ولم يوف بوعد ولم يلتزم بعهد ولم تستر عورة، ولم يبر والد ولم توصل رحم، ومن المواضيع التي تناولها الكتاب موضوع (هل الجنة مخلوقة؟ وأين هي؟) وفي إجابته عن هذا السؤال الذي طرحته عليه إحدى الطالبات قال: «إن الجنة مخلوقة موجودة الآن وهذا ما نفهمه من نصوص كثيرة من القرآن والسنة فمن القرآن استدل بالآية 133 من سورة آل عمران {وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} ومن نصوص السنة ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لرسول هرقل عندما سأله: «إنك تدعو إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين فأين النار؟» فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار؟»

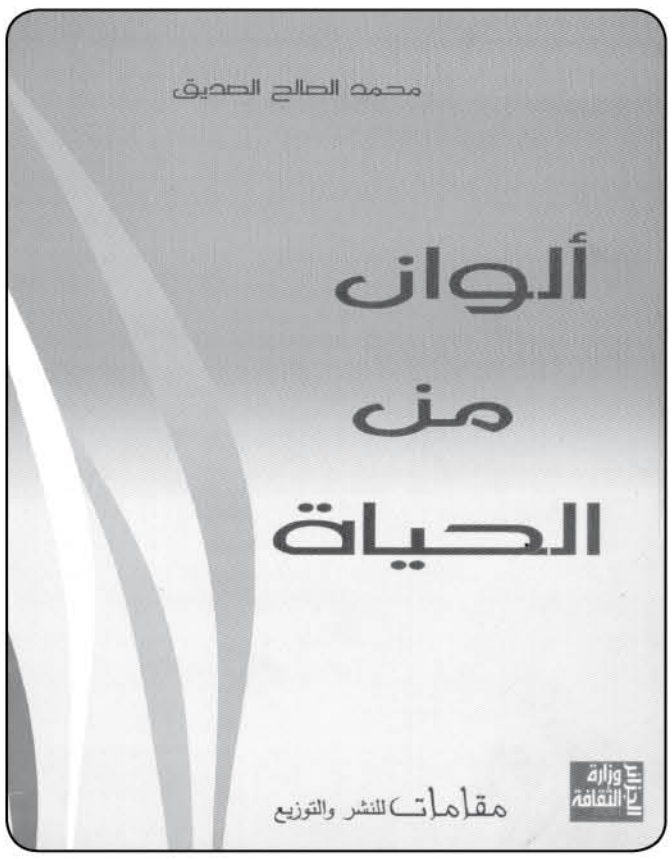

وسئل أنس بن مالك رضي الله عنه عن الجنة: «أفي الأرض أم في السماء؟» فقال: «فأين هي؟ قال «فوق السموات السبع تحت العرش».

هذه بعض النماذج الواردة في هذا الكتاب الذي جمع بين المتعة والفائدة.

مساحة لإشهارية

قضايا فقهية معاصرة

التقاعـــــد والفوائـــــد الربويـــــة

أ. د. سعود بن عبد الله الفنيسان

الدولة ممثلة في ولي الأمر معنية برعاية الموظف وبمن يعول بعد نهاية خدمته وكبر سنه فما تقتطعه من مرتبه شهريًّا تضيف عليه نسبة تماثل لما اقتطعته منه أو نحوها وتقوم بتشغيلها وتنميتها ثم يصرف له كامل النسبتين بعد تقاعده، وإنما أتت شبهة الربا عند بعض الناس من حيث إن الموظف يدفع مالاً على أقساط قليلة فيأخذ أكثر منها عند تقاعده من الوظيفة، وليس كذلك، إذ حقيقة الأمر أن ما دفعته الدولة من نسبة هو تبرع وليس لقاء عمل، إذ مقابل العمل هو الراتب الشهري الذي يستلمه الموظف آخر الشهر، فهذا من الدولة شبيه بالمكافأة، وأيضًا مما يؤكد أن المعاش التقاعدي عقد تبرع لا معاوضة: أن توزيع هذا المعاش بعد وفاة صاحبه لا يوزع حسب المواريث الشرعية بل على نمط خاص مما يدل على أن الدولة لا ترى ما تعطيه للموظف أو ورثته حقًّا ثابتًا له وإنما هو تبرع له ومكافأة، وهذا زائد عن عقد المعاوضة معها الراتب الشهري الصافي بعد الخصم، وإن كان من شبهة في معاشات التقاعد فهو أن أكثر الدول تشغل نسبة ما تقتطعه من راتب الموظف في أعمال ربوية، وهذا حرام على الدولة ولا دخل للموظف فيه، حيث لم يعلم أو يؤخذ رأيه في تشغيل ما يخصه، فهي المرابية وهي الظالمة، والموظف لم يرض بذلك بل هو مجبر عليه- دخلت مع الدولة على هذا الأساس، وللدولة زيادة الراتب أو نقصانه دون أخذ موافقة الموظف، ولو كان عقدًا كسائر العقود لما جاز لها ذلك.

أما إخراج الزكاة عن ما يقتطع منك لقرض التقاعد فلا زكاة فيه لأنك لا تملكه، وإنما تملك راتبك بعد أن تخصم منه هذه النسبة، فإذا كان راتب وظيفتك مثلاً (3000) روبية في الشهر، وبعد الخصم ستستلم (2500) روبية، فإن راتبك الفعلي هو هذا لا غير، وتزكي النقود إذا بلغت النصاب، والنصاب هو ربع العشر (½ 2 %) وحال عليها الحول مهما بلغت قوتها الشرائية ارتفاعًا أو انخفاضًا، وتعتبر الزكاة وسائر الحقوق المالية بالدراهم والدنانير، والعملات الورقية القائمة اليوم كالريال والروبية والدولار تقوم مقامها، وكل عملة ورقية قائمة بنفسها في البيع والشراء وليست قائمة مقام الذهب والفضة، وإنما قوتها وضعفها بقوة اقتصاد الدولة وضعفه، وإذا كانت الدولة لا تصرف لموظفيها ذهبًا ولا فضة فالاعتبار للعملة الورقية وليس للذهب ولا للفضة، وإذا كان الأمر كذلك فلا داعي لما أردت فعله من احتسابك قيمة الذهب الذي اشتريته أو تريد شراءه ثم عند دفع الزكاة.

وخلاصة القول:

أن ما يصرف لك من معاش تقاعدي كله حق لك في الشرع فلك أن تتبرع به كله أو ببعضه إذا شئت. وفقنا الله وإياك إلى كل خير.. آمين.

مفاهيم و مصطلحات

جلـــــد الـــــذات

حسن محمد نجار

مِن أخطر الأمراض النفسية التي يُعاني منها الإنسان، مرض «جلد الذات»، مرض يدفع الإنسان إلى أن يضخمَ أخطاءَه، ويتلذَّذ بالحديث عنها، ويفرح لجرْح نفسه؛ للشعور بمزيد من الألَم؛ حيث يَبدأ سخطًا، ثم يتم التأقْلُم مع هذا السخط ثم اعتياده، وينتهي الأمر بالاستمتاع بهذا السخط؛ ليصل إلى حالة أقرب من العِشق لهذا السخط.

أولا: دوافع جلد الذات وآثارها السلبية على النفس:

إنَّ لهذه الظاهرة السلبية دوافعَ تدفع الإنسان إلى أنْ يبقى في دائرة السلوك التعذيبي، وتعود هذه الدوافع إلى ما يلي:

-1 الغفلة عن سُنن الله في الكون:

فالبعض يريد لحماسه الفوَّار، وحُلمه القوي أن يتحقَّق في يوم وليلة، وهذا أمرٌ جميل، لكنه يغفل عن سُنن الله الكونية، فقد أودع الكونُ سُننًا ثابتة، لا تتبدَّل ولا تتغيَّر، فالحُلم لا بدَّ له من مدةٍ زمنية، وجُهد وتخطيط ليتحقَّق؛ قال - تعالى -: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب: 62].

فهو يريد أن يُحقِّق أهدافه دون مراعاة لهذه السُّنن، بطريقة هي إلى الوهْم والخيال أقرب منها للحقيقة والواقع، فحين يعجز عن ذلك يُصاب بالخيبة، وقد حذَّر النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - من هذه القضية المهزومة الخطيرة، ففي الحديث: ((إذا قال الرجل: هلَكَ الناس، فهو أهلَكُهم))، أو ((فهو أهلَكهم))[رواه مسلم].

-2 الهروب من الفشَل:

جلد الذات شعور سلبي يتنامى غالبًا في أوقات الهزائم، تتجلَّى فيه أعلى نسبة للسلبيَّة المتنامية جرَّاء الإحباطات الناجمة عن الهزائم النفسيَّة، والنجاح الضعيف الباهت، فهو شعور سلبي ينبع من رغبة دفينة بالتغلُّب على الفشل، ولكن ليس عن طريق مواجهته وإنما بالهروب منه؛ وذلك لعجز الفرد عن إدراك مواطن قوَّته ومواطن ضَعفه، فجلد الذات هنا حِيلة العاجز، ومَطيَّة الفاشل، ومَهْرب الجبان.

-3 جهلٌ مُطبق:

في مجالس العلم يُحصِّل الإنسان السكينة، ويقتبس النور ليهتدي به، وعلى النقيض يعيش الجاهل؛ قال - جل وعلا -: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 9].

والجهل السبب الأول لجَلْد الإنسان نفسَه؛ حيث يعتقد بجَهْله أنَّ في التعذيب دواءً، وفي الألَم شفاءً، وقد يقع في ذلك بما يُشير عليه أو يُفتيه به مَن حوله من الجَهَلة، وقد ورَد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنَّ رجلاً أصابَه جُرْحٌ في عهد رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - فأُمِر بالاغتسال، فاغْتَسَل فمات، فبلَغ ذلك رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - فقال: ((قتلوه قتَلَهم الله، ألَم يكنْ شفاءُ العِيِّ السؤالَ))[رواه أحمد].

-4 الميل إلى التشديد وعدم الترويح بالمباح:

جوهر التشديد التوسُّع في إيجاب الواجبات، والتضييق في إباحة المُباحات، واختيار أعسر الأمور وأجلبها للمشقَّة، وأدْعَاها إلى وقوع الحَرَج، مع وجود البديل الذي يرفع الحَرَجَ، ويجلب التيسير.

والتشديد في حقيقته: هو الاجتهاد الأسهل، وليس الاجتهاد الأفضل؛ إذ الأمر كما قال الفقيه الكبير سفيان الثوري - عليه رحمة الله -: «ليس العلم في التشديد؛ فإنه يُحسنه كلُّ أحد، إنما العلم الرخصة من ثقة»، وقال - تعالى -: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القَصص: 77].

فالقصد القصدَ، فلا إفراط ولا تفريط، والإفراط يُعادل التفريط، والتفريط لا يقلُّ خطرًا عن الإفراط، وفي الحديث: بينما النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - يخطب، إذ هو برجل قائم، فسأل عنه؟ فقالوا: أبو إسرائيل، نذَر أن يقوم في الشمس ولا يقعد، ولا يستظل ولا يتكلَّم ويصوم، فقال - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ((مُروه فليتكلَّم، وليَسْتظل وليقعد، وليتمَّ صوْمَه))[البخاري].

ثانيًا: الآثار النفسية المترتبة على جلد الذات:

يعود جلد الذات بالآثار النفسية الخطيرة على الإنسان وعلى المجتمع، ويكون له في الأغلب بصمات مُزمنة في العديد من مجالات الحياة، فهو يَحمل فيروسَ «عدم القدرة على الإبداع»، و«عدم القدرة على مواجهة الأزمات»، مع «تأزُّم التواصُل في العلاقات»، وآخرها «انعدام الأمل بمستقبل مُشرق»، فضلاً عن الأرق والقلق، وانعدام التركيز، والكوابيس والكآبة.

ثالثًا: كيف يمكن معالجة الشعور بجلد الذات؟

إن أيَّ مرض نفسي لا بد أولاً من احتوائه من المحيط الخارجي: سَواء كانوا أهلاً أو أصدقاء أو مُعلِّمين، ولكن الحلَّ أولاً وآخِرًا يبدأ من نفس الشخص ذاته، وذلك من خلال الحلول التالية:

-1 استعن بالله... ولا تعجز:

إنَّ ذِكْرَ الله يزيل المخاوف والأفكار، والتصوُّرات السلبية والوساوس، ويطردها من الذهن في الحال، ويعيق تأثيرها على مراكز الانفعال، كما جاء في قوله - تعالى - في كتابه الحكيم: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28].

-2 حاسِب... بدل أن تجلد:

كثيرًا ما نتداعَى لنا الذكريات، فينفرط شريط الأيام عارضًا نجاحاتنا وزلاَّتنا، وبين هذه وتلك لا بد من دقائق محاسَبة نفضيها مع أنفسنا، مكافئين أو مُعاتبين، فالتعزيز له دور إيجابي في مواصلة النجاحات، والعَتْب والمحاسبة إنما هو محاولة لنبْش مواضع التقصير والخطأ لتصحيحها.

كثيرة هي زَلاَّتنا، فنحن أولاً وأخيرًا بشرٌ، ولسْنا معصومين من خطأ أو نسيان، لكن من الخطأ أن نتوقَّف عندها زمنًا طويلاً لا تستحقه، وأن ننشئ على أعتابها مزارات نُحيي بها ليالي من البكاء والنُّواح على ماضٍ لن يعود.

فمُحاسَبة الذات: هي مراجعة النفس، ومعرفة الأسباب وطُرق علاجها، وهي ضرورية لكل إنسان صادق مع نفسه قبل غيره، وتعتبر من العوامل الهامة التي تُساعد على استقرار ورُقي حياة الإنسان وتطورها، ومن ذلك حالة التوبة من الذنوب الكبيرة والصغيرة، فالتوَّابون يهدفون من خلال شعورهم بالذنب إلى تخليص النفس من آثامها، والعمل الجاد لتطهيرها، من خلال بناء الذات الجديدة والقادرة على العطاء، أو الانتقام من كل مصادر الفشل والقمْع.

بينما جلد الذات: هو الاستمرار في الإيذاء دون علاج، وإنزال العقاب بزيادة اللوم والتعذيب للجسد أو للرُّوح، أو للمجتمع فقط، دون التأمُّل في أسباب الخطأ.

-3 اصبرْ... عالِجْ... بدِّلْ:

يجب التحلِّي بالصبر والهدوء في علاج أي مشكلة، أترى لو كان النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - استسلَم في مهد الدعوة، ولَم يَصبر عليها، هل كانت ستصل دعوته إلينا؛ قال أندرو كارنجي: «الإنسان الذي يُمكنه إتقان الصبر، يُمكنه إتقان أيِّ شيءٍ آخرَ».

-4 اقتصدْ... اعتدلْ... تدرَّجْ:

بلا إفراط أو تفريط، فخير الأمور الوسط، فعن أبي هريرة عن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - أنه قال: ((إن الدين يُسرٌ، ولن يُشادَّ الدين أحدٌ إلاَّ غلَبَه، فسدِّدوا وقارِبوا وأبْشِروا، واستعينوا بالغَدوة والرَّوحة، وشيءٍ من الدُّلْجة)) [متفق عليه].

قال عمر بن عبدالعزيز لابنه: «يا بُني، لا تعجل؛ إن الله - جل وعلا - ذَمَّ الخمر في القرآن مرتين، وحرَّمها في الثالثة، وإني أخْشَى أن أحمل الناس على الحقِّ جُملة واحدة؛ فيَدَعوا الحقَّ جُملة واحدة، فتكون فتنة هذا هو الفَهم».

رابعًا: نهي الإسلام عن تعذيب النفس وجلد الذات:

خلَق الله الإنسان مكرمًا؛ قال - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: 70].

وهذا التكريم اقْتضَى الحفاظ على النفس من إلحاق الضرر بها، فالنفس الإنسانية ليستْ ملكًا لصاحبها، فلا يجوز الاعتداء عليها من قِبَل صاحبها أو غيره؛ بالقتل أو التعذيب، أو الجلد أو غير ذلك؛ قال - تعالى -: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: 29].

خطبة الأسبوع

أ. عمّار رقبة الشُّرْفي

المؤمن بين امتحان الدنيا والآخرة

الحمدلة:

البشر في دار امتحان من يوم ولدوا إلى يوم لقاء المنان:

•﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [سورة الملك: 2].

• ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾[سورة محمد: 31].

امتحان الدنيا يذكر بامتحان الآخرة، وامتحان الآخرة أشد:

• قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[سورة الكهف: 49].

• وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾[سورة القمر: 53]

• «وإن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً، يهوي بها في جهنم سبعين خريفاً»[الترمذي عن أبي هريرة].

ميزان امتحان الآخرة لا تمر عليه الصغائر وإن دقت فلتعدّ له:

• قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[سورة الكهف: 49].

• وقال تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[سورة الجاثية: 29]

• وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سورة المجادلة: 6].

كل حياتك امتحان، مراحلك وأعمارك، أعمالك وأنفاسك فلا تعمل غير شيئ يسرك في القيام أن تراه:

• ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [سورة آل عمران: 30].

• قال النبي عليه الصلاة والسلام:

((لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَا أَبْلاهُ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا وَضَعَهُ وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ))[سنن الدارمي عن معاذ بن جبل].

• الخاتمة والدعاء.

إعجاز

الهدي النبوي في منع وعلاج الغضب سبق طبي وإعجاز علمي

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (الحجر 97-99).

وقال تعالى: ﴿..الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران 134] .

سبع قواعد نبوية نورانية:

جاءت السنة النبوية المطهرة بخطة فعالة لمنع وقوع الغضب ومن ثم تفادي تأثيره على الفرد والمجتمع.

-1 الأمر المباشر «لا تغضب»

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال :»قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة» قال: «لا تغضب» (البخاري 6116 صحيح الجامع 7374 الفتح 4/465) .

وعن أبي هريرة رضي الله «أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم أوصني فقال: «لا تغضب» فردد مرارا: «لا تغضب» (رواه البخاري وَأَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَأَبُو يَعْلَى).

وخرج الترمذي هذا الحديث في رواية له - ولفظه: عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قُلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْ لِي قَوْلاً وَأَقْلِلْ لَعَلِّي أَعْقِلُهُ، قَالَ: «لا تَغْضَبْ». فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ كُلُّ ذَلِكَ يُرَجِّعُ إِلَيَّ «لا تَغْضَبْ»

وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قلت يا رسول الله ما يمنعني من غضب الله قال: «لا تغضب». (أخرجه الطبراني في مكارم الأخلاق وابن عبد البر في التمهيد بإسناد حسن وهو عند أحمد)، وقد أحصى أحد العلماء ثلاثاً وخمسين فائدة لهذا الحديث قليل المبنى عظيم الأثر والمعنى.

وفي ذلك أيضاً إعجاز بياني بلاغي لسيد البشر وخاتم المرسلين عليه أفضل الصلاة والتسليم الذي أوتي جوامع الكلم واختصر له الكلام اختصاراً.

-2 الترغيب برضا الله و حب الله.

عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-: «ما من جرعة أعظم أجرا ثم الله من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله»

-3 الترغيب بالجنة

عن معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره من الحور العين فيزوجه منها ما شاء» .(مسند أحمد 1566، سنن أبي داود 4147، الترمذي 2417، ابن ماجة 4176).

4. ترغيب العرب ببيان الشدة والشجاعة في حجز النفس عن الغضب (و هو ما يحبونه)

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقوم يصطرعون فقال : «ما هذا؟»

قالوا فلان لا يصارع أحداً إلا صرعه فقال: النبي صلى الله عليه وسلم: «أفلا أدلكم على من هو أشد منه؟ رجل كلمه رجل فكظم غيظه فغلبه وغلب شيطانه وغلب شيطان صاحبه». (رواه البزار قال ابن حجر بإسناد حسن. الفتح 10/519)

-5 الترهيب من فساد الإيمان وغضب الله.

وعن أبي مسعود البدري قال: كنت أضرب غلاماً لي بالسوط فسمعت صوتاً من خلفي «اعلم أبا مسعود» فلم أفهم الصوت من الغضب، قال: فلما دنا مني إذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو يقول: «اعلم أبا مسعود اعلم أبا مسعود» قال: فألقيت السوط من يدي، وفي رواية فسقط من يدي السوط من هيبته فقال: «اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام». قال: فقلت لا أضرب مملوكاً بعده أبداً، وفي رواية فقلت: يا رسول الله هو حر لوجه الله، فقال «أما لو لم تفعل للفحتك النار أو لمستك النار» (رواه مسلم)

-6 القدوة بالمثال: هديه صلى الله عليه وسلم في التحلم والتبسم في مواطن الغيظ والغضب للنفس.

وهذه السمة من أخلاقه صلى الله عليه وسلم، واضحة في عدة أحاديث من أبرزها: عن أنس رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعليه بُرد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي صلى الله عليه وسلم (ما بين العنق والكتف) وقد أثرت بها حاشية البرد، ثم قال: يا محمد مُر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه صلى الله عليه وسلم فضحك، ثم أمر له بعطاء. (متفق عليه فتح الباري 10/375).

-7 نهي الصائم عن الغضب

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يصخب، فإن سابه أحد، أو قاتله، فليقل إني امرؤ صائم». (متفق عليه)

فسبحان الله العظيم، فما أعجب نصح النبي صلى الله عليه وسلم الصائم بالسكينة وعدم الغضب.

الدكتور: محمد عبد اللطيف العجرودي

مختصر تفسير ابن عاشور

(167)

أ. د. عمار الطالبي

{كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ، فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ، قُلْ صَدَقَ اللّهُ فَاتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (آل عمران: 95/93):

بعد أن تبين في الآيات السابقة ما يظهر الحجج الأصلية على أن دين اليهود ليس من الحنيفية في شيء فإن الحنيفية لم يكن فيها ما حرم في التوراة من الطعام فلذلك كان بنو إسرائيل قبل التوراة على شريعة إبراهيم ولم يكن فيها محرم من الطعام إلا ما حرمه إسرائيل أي يعقوب على نفسه.

كما أنه يحتمل أن بني إسرائيل طعنوا في الإسلام وزعموا أنه لم يكن على شريعة إبراهيم إذ أباح للمسلمين أكل بعض ما هو محرم على اليهود. وهذا جهل بتاريخ تشريعهم، أو تضليل من أحبارهم ضللوا به عامتهم، لإبعادهم عن الإسلام، فإن دين إبراهيم وجماعة من الأنبياء من بنيه وحفدته لم يكونوا يحرمون ذلك.

وقد ذكرت التوراة في سفر التكوين ما يدل على أن يعقوب حرم على نفسه أكل الفخذ. وقيل إنه حرم على نفسه لحوم الإبل وألبانها.

وأنه لم يوح الله له بذلك وإنما كان من تلقاء نفسه. وأراد ببعض ذلك التقرب إلى الله بحرمان نفسه من بعض الطيبات التي تشتهيها النفس فجاهدها فأصبح من الزاهدين إما فعل ذلك نذرا أو عزما منه. وهذا تصرف من نفسه فيما أبيح له. وليس تشريعا أو اجتهادا منه. ولم يدع غيره على فعل ذلك. وبذلك سجل القرآن عليهم خطأهم وأمرهم الله في هذه الآية أن يبرهنوا من نص التوراة على زعمهم. وهو تعجيز لهم ورد على قولهم: إن إبراهيم كان على ملة اليهودية. فإن كانوا صادقين في ذلك فليأتوا بالتوراة. وما كان لهم أن يجدوا ذلك في التوراة.

ثم سجل عليهم كذبهم على الله إن استمروا على ذلك. فمن افترى منهم بعد هذا فقد اعتدى على التوراة فإنها الفيصل في هذا. فلم يبق لهم ما يستدلون به. والافتراء هو الكذب والاختلاق. مأخوذ من الفري وهو قطع الجلد قطعا لصنع القربة أو النعل والصيغة تدل على المبالغة في الفري. لأن الافتعال يدل على شدة الفري. وتقطيع ذلك لدرجة الإفساد. فالافتراء مرادف للكذب وهو الخبر المخالف للواقع ويكون صاحبه من الظالمين لأنه اعتدى على الحق. وأن الصدق فيما أخبر الله به. لا فيما يزعمون. وإذا ثبت صدق الله فعليهم إتباع ملة إبراهيم الحنيف الذي لا يميل عن الحق. ولم يكن منحرفا إلى الشرك. فإنه الموحد التوحيد المطلق.

{إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ، فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} (آل عمران: 97/96):

هاتان الآيتان واقعتان موقع التعليل للأمر باتباع ملة إبراهيم، لأن هذا البيت كان مقاما لإبراهيم، وفضيلة هذا البيت وحرمتها ثابتة. فهي أول بيت وضعت للناس لعبادة الله. فهي مباركة. وهدى للناس أجمعين في العالم. وهي إعلان لتوحيد الله لتكون معلما مشهودا محسوسا على وحدانية الله. ونفي الإشراك به. فله شرف أولية. ودوام الحرمة. على مر الزمان دون غيره من المعابد الدينية التي نشأت بعده. وذلك فيه دلالة على أنه محل لعناية الله تعالى. وأن الدين الذي قارن إقامته هو الدين الذي أراده الله لعباده. وهو معنى «إن الدين عند الله هو الإسلام».

ومعنى «وضع» أسس. ومنه سمي المكان موضعا «وبكة» اسم مكة البلد الذي عينه إبراهيم لسكن ولده. قصد أن يكون بلدا له وإقامة. ويرى ابن عاشور أنه من اللغة الكلدانية لغة إبراهيم عليه السلام. وقد سمى الكلدانيون مدينة «بعلبك» بمعنى بلد بعل والبعل معبود الكلدانيين. ومن إعجاز القرآن استعمال هذا اللفظ. والمقصود إثبات سبق الكعبة في الوجود قبل بيوت غيرها من نوعها. فهي أول بيت عبادة حقيقية بنيت على التوحيد. والهدى. وهو أسبق من بيت المقدس بتسعة قرون. ذلك أن إبراهيم بنى الكعبة في حدود 1900 قبل الميلاد. وبنى سليمان بيت المقدس سنة 1000 قبل المسيح. وإبراهيم بنى البيت بيده وهو رسول. أما بيت المقدس فقد بناها العمال بأمر سليمان.

وهو بيت مبارك. فله بركة وهي الزيادة في الخير بفضل من الله. ويكون من دخله مثابا وحاصلا على خيره. وأمر الله بأن يكون داخله آمنا.وجعله هدي للعالمين كلهم. فشهرته وتسامع الناس به يجعلهم يتساءلون عن سبب وضعه. وأنه لتوحيد الله. وتطهر النفوس من سوء الشرك. فيهتدي المهتدى بذلك. ويرجع عن شركه. فقد وضع حجارته الأولى إبراهيم بيده وإسماعيل ثم وضع الحجر الأسود محمد بيده لما أعيد بناؤه. واختارته قريش لذلك.

{فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ} هذا ثناء على البيت بما أحاطه الله به من الفضائل والمزايا. وهي ظاهرة للمحاطين بهذه الآيات. فقد يسر الله لسكان الحرم وزائريه من طرق الخير. ودفع عنهم الإضرار. وآمنهم فيه بما جعل في نفوس العرب في الجاهلية من احترامه. فكان الرجل يلقى قاتل أبيه في الحرم فلا يناله بسوء. وهذا آية على أن جعل في نفوسهم ذلك وأمن ما كان حولها من الحيوان فلا يصاد وحشه مع اعتناء العرب بالصيد. وكذلك انصراف الحبشة عن غزوه آية. ومن ذلك انبثاق الماء لإسماعيل وقد كان مشرفا على الهلاك مع أمه. وافتداء الله إسماعيل بذبح عظيم. وما توارث عند العرب من أن نزول الحجر الأسود. كان من السماء على جبل أبي قبيس بمرأى من إبراهيم. ولعله حجر نزل من الكواكب. ومن آيات ذلك تيسير الرزق لأهله وساكنيه مع قحولة الأرض وقلة الزرع.

ومقام إبراهيم المسجد الحرام. محل قيامه للصلاة والطواف. وهو ما يشير إليه قوله تعالى: {وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى} (البقرة:125). وكذلك فإن المراد بمقام إبراهيم الحجر الذي فيه أثر قدمي إبراهيم. في الصخرة التي ارتقى عليها ليبني جدران الكعبة.

ويرى ابن عاشور إنه آية لدلالته على نبوة إبراهيم وأن بقاء ذلك الأثر مع تلاشي آثار كثيرة طيلة القرون آية أيضا. ولذلك جاءت الآية بالجمع في قوله: «آيات بينات» ومن مزايا هذا البيت الأمن. فذهب بعض المفسرين أنه أمر بتأمين من دخله. وليس خبرا. وقد اختل الأمن فيه في القتال بين ابن الزبير والحجاج وفي عهد القرامطة. وللفقهاء في ذلك عدة تأويلات. وإذا كان البيت هذا ومباركا فيجب حجه والقصد إليه. ولذلك قال: {وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} (آل عمران:97): ويبدو أن هذه الآية هي التي فرض بها الحج على المسلمين. وأما ما قبل نزولها من أداء المسلمين للحج فإنما ذلك تقربا إلى الله واستصحابا للحنيفية الإبراهيمية. ونزلت هذه الآية سنة ثلاث من الهجرة بعد غزوة أحد. وكان المسلمون مُحصَرين. ومنعوا من ذلك إلى أن فتح الله مكة فتمت حجه سنة تسع من الهجرة.

a.talbi@albassair.org

تمنّي العبوديـــــة.. ودقائـــــق التخصّص

د. محمد عبد النبي*

الذي يقحم نفسه في غير ما يتقنه قد يأتي بالعجائب. حتى و إن انتمى إلى زمرة أهل العلم. إذ لكل ميدان تخصصه و رجاله. ولكل فن مبادئه و مصطلحاته. وكثير من متحدثي الإعلام يبينون عن عورات أو عثرات لا يسترها إلا أن يعتذروا أو ينزووا بعيدا عما لا يعنيهم. وبعض طلبة العلم قد يُدلي برأي في أطروحته-في شأن بعيد عن تخصصه- يَظهر فيه قصوره. لأنه لم يفهم تعبيرات القوم أو مصطلحاتهم. ورحم الله من عرف قدر نفسه. فصانها عن رذيلة الإفتاء في كل شيء!

أخرج البخاري (3/149) عن الزهري قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: قال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «للعبد المملوك الصالح أجران. والذي نفسي بيده لولا الجهاد في سبيل الله والحج وبرّ أمي. لأحببت أن أموت وأنا مملوك.»!

أول ما يلفت النظر في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم يتمنى لو مات وهو عبد مملوك. ومن المعلوم أن العبودية تنافي الحرية. وتتعارض مع شرائط التكليف في المناصب الدنيوية. فضلا عن المناصب الدينية. بله منصب النبوة !حتى ولو قلنا بأن الأمر على سبيل المبالغة. لترطيب قلوب العبيد. ولتبليغ أن إخلاصهم يجلب لهم الأجر مرّتين. إذا أدوا ما عليهم في حق ربهم. وحق مواليهم.

والحقيقة أن هذا الحديث قد اختلط فيه المرفوع بالموقوف. فالجزء الأول منه قاله النبي صلى الله عليه وسلم. وهو قوله: «للعبد المملوك الصالح أجران» وهذا يتفق مع الترجمة التي أوردها البخاري رحمه الله حين قال: «باب العبد إذا أحسن عبادة ربه ونصح سيده .» ثم أردفها بحديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم: «العبد إذا نصح سيده. وأحسن عبادة ربه:كان له أجره مرتين.» وبحديث أبي موسى الأشعري يرفعه: «أيما رجل كانت له جارية. فأدبها فأحسن تأديبها وأعتقها وتزوجها فله أجران. وأيما عبد أدى حق الله وحق مواليه فله أجران.» ثم أورد البخاري الحديث الذي يفيد تمني النبي أن يموت مملوكا. وختم الباب بحديث أبي هريرة أيضا: «نعم ما لأحدهم. يُحسن عبادة ربه. وينصح لسيده.» فأحاديث الباب تتناول موضوعا واحدا: هو مضاعفة الأجر للعبد عند ربه. جراء إخلاصه لسيده في العمل. ولربه في العبادة. ما يوحي بأن تمني صفة المملوك لا تتفق مع محتوى الأحاديث المرفوعة. ولذلك لم تَرِد الإشارة في ترجمة البخاري إلى هذا المعنى. بالرغم من أهميته. ويس ذلك إلا لأن ذاك التمني هو مدرج من قول أبي هريرة رضي الله عنه. وهو فن من فنون مصطلح الحديث. عُني فيه المحدثون بتخليص ما يُرفع للنبي صلى الله عليه وسلم عما يتدخل به الراوي. صحابيا كان أو تابعيا. ومثل هذا الأمر يدل عليه محتوى المتن أو التصريح في رواية أخرى. وقد يدل عليه الأمران. كما في هذا الحديث. وقد أشيرَ من قبل إلى أن في المتن معارضة بين العبودية و بين الحرية في منصب النبوة. وأضافوا لذلك أن أمّ النبي صلى الله عليه وسلم لم تشهد بعثته. فكيف يمنعه برّها من أن يكون مملوكا؟ !و إن وُجد من الشراح من فاته الأمر وجهد في التأويل. قال ابن حجر: «ظاهر هذا السياق(يقصد رواية البخاري) رفع هذه الجمل إلى آخرها(أي نسبتها للنبي). وعلى ذلك جرى الخطابي فقال: لِلّه أن يمتحن أنبياءه وأصفياءه بالرق. كما امتحن يوسف..»؟! وأضاف ابن حجر: «.. وجزم الداودي وابن بطال وغير واحد بأن ذلك مدرج من قول أبي هريرة. ويدل عليه من حيث المعنى قوله: وبرّ أمي. فإنه لم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم حينئذ أمّ يبرها. ووجّهه الكرماني فقال: أراد بذلك تعليم أمته. أو أورده على سبيل فرض حياتها. أو المراد أمه التي أرضعته. وفاته التنصيص على إدراج ذلك. فقد فصله الإسماعيلي من طريق أخرى عن ابن المبارك. ولفظه: والذي نفس أبي هريرة بيده إلخ. وكذلك أخرجه الحسين بن الحسن المروزي في كتاب البر والصلة عن ابن المبارك. وكذلك أخرجه مسلم..» (فتح الباري: 5/176)

ورواية مسلم أخرجها في كتابه (3/1284) عن أبي هريرة أيضا يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم: «للعبد المملوك المصلح أجران. والذي نفس أبي هريرة بيده. لولا الجهاد في سبيل الله. والحج وبر أمي: لأحببت أن أموت وأنا مملوك» قال: وبلغنا أن أبا هريرة لم يكن يحج حتى ماتت أمه. لصحبتها..» فتأكّد برواية الإمام مسلم أن هذا الجزء من الحديث مدرج من كلام أبي هريرة. وبأن التأويل الذي ذهب إليه الخطابي والكرماني تأويل متكلف. ولا حاجة إليه. وإذا استشكل الأمرَ معترضٌ على صنيع البخاري أفيد بأن الأمر مفهوم من صنيع القوم بينهم. والروايات يفسِّر بعضها بعضا.

قال صلاح الدين العلائي في كتاب: «التنبيهات المجملة على المواضع المشكلة»(74): «فهذا الفصل الأخير مدرج في الحديث من قول أبي هريرة قطعا. ولا يجوز أن يكون من قول النبي صلى الله عليه وسلم. أو يستحيل عليه أن يتمنى كونه مملوكا. وأيضا فلم يكن له أم يبرها. وكأن البخاري لم يبين كونه من قول أبي هريرة رضي الله عنه لظهور ذلك. وأنه لا يجوز أن يكون من تتمة قول النبي صلى الله عليه وسلم..»

a.abyasser@gmail.com

تعزيـــــة

تلقت الأسرة الجامعية في كل من العاصمة وورقلة فاجعة نبأ انتقال الأخت، مساعيد فاطمة إلى جوار ربها - بسكتة قلبية، أمام زميلاتها - يوم الثلاثاء المنصرم بالحي الجامعي بورقلة.

وشيع جثمانها الطاهر يوم الخميس الماضي بمقر سكناها بالحمدية بالعاصمة.

المرحومة مساعيد فاطمة أستاذة بجامعة قاصدي مرباح بورقلة ترحل اليوم والجامعة الجزائرية في أمس الحاجة لمثيلاتها، قدوة في العلم والسلوك لبنات جنسها خاصة وهي في مرحلة ذروة العطاء. فقد كانت منهمكة بتفاني كبير لإنهاء اللمسات الأخيرة لمناقشة رسالة الدكتوراة في العلاقات الدولية. بعد رحلة بحث شاقة.

وقد عرف عن الأستاذة فاطمة - حسب زميلاتها - طيبة نادرة في التضحية والإخاء والتواضع وحسن الخلق مع طلبتها وزميلاتها..

وبمناسبة هذا المصاب الجلل تتقدم زميلاتها وطلبتها بجامعة ورقلة بمختلف تخصصاتها، بتعازيهم القلبية لأسرة الفقيدة في العاصمة، في مصابهم الجلل هذا، مبتهلين إلى الله العلي القدير أن يدخل المرحومة جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين. كما تتضرع لله سبحانه أن يرزق أهلها وذويها وزميلاتها وكافة طلبتها صبراً جميلاً.

وإنا لله و إنا إليه راجعون

إضافة تقويمية إلى مقال:
«تقويم الصياغة العربية للكتب المدرسية في المرحلة الابتدائية» - 1

في إطار معاجة مسائل التربية والتعليم في بلادنا، قمنا بنشر مقال للدكتور عبد المالك مرتاض، وقد ترك المقال أثراً طيباً عند القراء، ورجال التربية والتعليم، وفي إطار هذا التفاعل المعرفي ننشر هذه الحلقات للأستاذ خير الدين هني. (هيئة التحرير)

أ. خـــير الديـــن هني

عوامل شيوع هذه الأخطاء

كان لهذه الدراسة القيمة للأستاذ عبد الملك مرتاض، أثرها البالغ على أهم الوثائق التربوية للمرحلة الابتدائية، (كتب القراءة) التي وضعت بين ملايين التلاميذ ممن هم في سن الدراسة الإلزامية.

لقد فتح الأستاذ باباً ظلّ مغلقاً لوقت غير يسير، فبذل جهداً مشكوراً لإبراز الأخطاء التي تضمنها الكتاب. كانت تقدم إلى أطفالنا صباح مساء في برامج رسمية، أمام أعين ومراقبة جهاز كبير من الإداريين والمشرفين وأسلاك الرقابة، دون أن يتفطن لها أحد.

وقد فاتتني الحلقات الأولى من الدراسة، ولم أطلع إلا على الحلقة الرابعة والأخيرة الصادرة بأسبوعية البصائر بتاريخ 13 أبريل 2014. ولقد وجدت هذه الدراسة هوى في نفسي، لأنني ظللت مدة طويلة وأنا أنادي بعدم رضاي عن الطريقة التي وضعتها وزارة التربية لاختيار محرري المناهج والبرامج والكتاب المدرسي وجميع الوثائق التربوية المتعلقة بها.

إنها طريقة غير معيارية في العموم، لأنها تعتمد على العشوائية والارتجال (بسبب السرعة في الانجاز، والعمل تحت الطلب) والمحاباة والاعتبارات الذاتية في بعض الأحيان، وكم من شخص زج به في هذه اللجان من غير أن يكن له تأهيل عال في الاختصاص. وبعضهم وجد نفسه في لجان ليست من اختصاصهم. يضاف إلى ذلك أن بعض المحظوظين ممن كانت لهم الوجاهة في أن يكونوا في هذه اللجان، كانت لهم اليد الطولى في اقتراح زملائهم وأصدقائهم ليكونوا معهم في اللجان للقيام بهذه المهمة الخطيرة. إذ كانت العملية مرتبطة بصفقة نفعية لها مقابل.

وأنا إذ أتحدث من هذا المقام، فإنما أشهد بما علمت وقد كانت لي ببعض هؤلاء المقترحين معرفة وصداقة، وبعضهم كانت لي بهم صلة دراسة، زج بهم في قائمة اللجنة الوطنية للإصلاحات التي نصبها الرئيس غداة إنشاء هذه اللجنة، ولم يصدق أحدهم - وهو يروي لي ذلك- أنه مشمول بهذه العناية من فخامته.

والأدهى في الأمر،أن بعض المشمولين بهذه العناية ممن أسندت إليهم مهمة صياغة البرامج في لجان التأليف، لم تكن لديهم إلا معارف عامة لا تبلغ أن تؤهلهم إلى الغوص في أعماق المناهج والبرامج، وتحليل الاستراتيجيات التعليمية وفق مناظيرها الجديدة، وربطها بأشهر المدارس النفسية والفكرية والتربوية واللغوية، فضلا عن الاتجاهات الثورية التي أحدثت طفرة في علوم التربية (التعليمية العامة والخاصة)، المنبثقة عن مدارس كبرى قامت بثورات إصلاحية عقب نكسات عرفتها نتائج التقويم والاختبارات على نحو ما حدث في الولايات المتحدة الأمريكية بعد نكسة نتائج البكالوريا عام 1947.

بهـــذه الكيفية تكـــون الإصـــلاحات ناجعة

لقد هزت تلك النتائج المسئولين السياسيين والاستراتجيين، بسبب ما ترتب عليها من تفوق الاتحاد السوفييتي في غزو الفضاء، فأرجعوا ذلك إلى ضعف المناهج الدراسية والتكوين وأساليب التدريس والتقويم.

لذلك انتدبوا كوكبة من كبار الباحثين المشهود لهم بكفاءاتهم العليا في مجال تخصصهم، لإعادة تقويم النظام التربوي برمته.

وكان قبل هذا التاريخ، وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى 1918، ظهرت أفكار "بوبيت" الإصلاحية كثورة تقدمية على الأساليب التقليدية التي كانت سائدة في زمانه. لقد لمس بنفسه ما كان يسفر عنه النظام التعليمي العام، إذ كان يقذف بجيوش من المتخرجين إلى الحياة العملية بدون فعالية تذكر. لقد رأى "بوبيت" أن الفجوة عميقة بين نظام التكوين في التعليم العام وبين القطاع الصناعي في الفعالية والناجعة والمر دودية.

وإذا كان "لبوبيت" فضل السبق في إعلان ثورته على الأساليب الكلاسيكية في التعليم، فقدم تصورا شاملا ودقيقا لتكنجة التعليم اقتداء بالقطاع الصناعي، فإن "تيلر" له الفضل الأكبر في تأسيس نموذج التعليم الهادف وقد شهد له بذلك جميع المتخصصين.

وقد اقترح هذا النموذج في كتابه الشهير الذي نشره سنة 1949. وذهب الخبير الإسباني" ساكريستان" 1988،إلى أن صنافة "تيلر" ضمن نظرية المناهج أصبحت مرجعا أساسيا يعتمده الباحثون والخبراء في اتجاهاتهم ودراساتهم.

فقد كان أول من رسم خطة دقيقة ذات أبعاد إستراتيجية في تأسيس نموذج تعليمي جديد، يقوم على الفعالية والنجاعة والمر ودية، فكان ذلك بواسطة إعادة صياغة المناهج الدراسية وطرائق التدريس وأدوات التقويم على أسس علمية وسيكولوجية وبيداغوجية.

وشكلت هذه النظرية لاستراتيجيه "تيلر". نقطة البداية لانطلاق ثورة عارمة في مجال الدعوة إلى تجديد الاستراتيجيات التعليمية السائدة يومئذ في الولايات المتحدة الأمريكية.

وفي سنة 1949، عقد "بلوم" وجماعته من تلاميذ "تيلر" مؤتمرا للجمعية الأمريكية للسيكولوجيا، بحثوا فيها الأوضاع التي كان يتم فيها الإعداد للامتحانات. وما كان يجب فعله لإعادة النظر في تلك الأساليب غير المجدية التي برهن الواقع على فشلها. وما يمكن أن يقترحوه من بدائل دقيقة ومحددة ومشتركة، بغية تحسين أساليب التقويم وأدواته. وتحديد المعايير التي تضبط اختيار المواضيع وتصحيحها.

كان بلوم قد انطلق من النقطة التي انتهى إليها "تيلر"، وهي الأهداف التعليمية من موقع ديداكتيكي بحت ، أي: بتوجيه الاهتمام إلى مشاكل التقويم والامتحانات وفعاليتها. وفي سنة 1951، وبعد ثلاث سنوات من البحث والدراسة والاستقصاء والتدقيق، توصل الفريق إلى صياغة نموذج أولي يصنف الأسئلة.

ولما تم طبعه أرسل حوالي ألف وخمسمائة نسخة إلى المعلمين والمؤطرين والمشرفين في الميدان لمناقشته وإثرائه، وبعد أن استلم "بلوم" وفريقه مقترحات المدرسين قاموا بتحليلها ودراستها وأخذ ما يلائم منها، فأضافوا إليها مقترحاتهم، ثم تم التوصل إلى صياغة الجزء الأول من المصنف، وهو الذي يعرف بصنافة بلوم في الأهداف التربوية في المجال المعرفي. وقد تم نشره سنة 1956. ولقي نجاحا كبيرا في الأوساط التعليمية، ومنذ ذلك اليوم أصبح مصدرا أساسيا يعتمده الباحثون والدارسون والمشتغلون في الحقل التربوي.

وعلى هذا النحو استمرت الأبحاث في كبريات الجامعات والمراكز البحثية العليا في العالم، وكلما برزت أفكار ثورية في التكنولوجيا أو وقعت مشكلات اقتصادية أو اجتماعية، إلا وصاحبها تطور في علوم التربية وسيكولوجية التعلم وإستراتيجية التدريس.

والذين تسند إليهم مهمة الإصلاح والبحث والدراسة وتقويم النظام التعليمي، إنما هم البحاثة الكبار من المبرزين ممن يشهد لهم بالتفوق الكبير في مجالات البحث. ويبقى دور الإداريين والمشرفين على التكوين وأسلاك الرقابة ممن يؤطرون أطوار التعليم يستشارون في عمليات الإصلاح، بأن تبعث إليهم مذكرات استبيانات شاملة ودقيقة، لإثرائها ومناقشتها واقتراح تجاربهم وخبراتهم لغربلتها وأخذ الملائم منها. وقد ينتدب بعض المتفوقين منهم.

ممن لهم أبحاث مشهودة في لجان الصياغة والتأليف، هذه هي الطريقة المثلى لإصلاح النظام التعليمي، والتي على أساسها توضع المعايير والمحكات لاختيار الرجال والنساء المؤهلين. وكذا الأساليب العلمية والتقنية الناجعة للقيام بعمليات الإصلاح الكبرى. ليس في ميدان التعليم فحسب، وإنما في كل المجالات الحيوية في الدولة. أما عندنا في الجزائر - مع الأسف الشديد- لا توجد أية معايير موضوعية في الاختيار، لذلك تأتي الإصلاحات عرجاء ومن غير فعالية ولا مرد ودية، ليس في النظام التعليمي فقط وإنما في كل الأنظمة التي شملها الإصلاح. وهذا ما دلت عليه تجارب الإصلاحات التي شملت معظم القطاعات في الألفية الجديدة. والسبب لا يعود إلى عامل الاختيار والانتقاء فقط، وإنما يعود إلى عوامل أخرى سنتناولها في مناسبة أخرى إن شاء الله.

يتبع

البصائر

لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

أسست في أول شوال 1354 هـ الموافق 27 ديسمبر 1935م

الإسلام ديننا. والعربية لغتنا. والجزائر وطننا.

دعاء العدد

- اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي ، ومن شر بصري ، ومن شر لساني ، ومن شر قلبي ، ومن شر منيي .

الاثنين 19 - 25 رجب 1435 هـ /19 - 25 ماي 2014 العدد: 705 الثمن: 20 دج موقع جريدة البصائر: www.albassair.org / البريد الإلكتروني: info@albassair.org / info.bassair@gmail.com / موقع الجمعية: www.oulama-dz.org

بالمختصر المفيد

القدوة الدعوية والعلمية

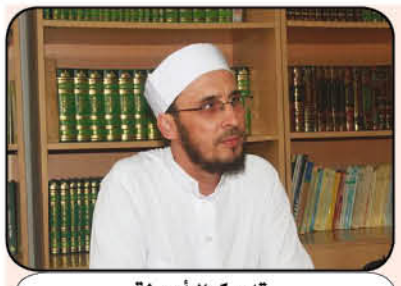

بقلم: كمال أبو سنة

كان العلماء الربانيون الذين جربوا السير طويلا في طرق خدمة الدين يحذرون الوالجين ميدان الدعوة من أمراض النفوس، وغلبة جانب الفجور فيها على جانب التقوى، فالقدوة قبل الدعوة، والعلم مع العمل، وقبل هذا وذاك إخلاص النية وتجديدها أساس صلاح الجهد وحسن العاقبة في الدنيا والآخرة.

ولا يوجد خطر أعظم على الإسلام من خطر متحدث باسمه، مريض الجنان، فصيح اللسان، يحمله الإسلام، ويدعي أنه يحمل الإسلام، يقول فيُسمع لقوله، ولكن قوله مخالف لفعله، ساقط في مجذر قوله تعالى: (يا أَيّها الّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتا عِنْدَ اللّهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ)، ولهذا قال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-: «قصم ظهري رجلان: جاهل متنسك، وعالم متهتك، ذاك يغر الناس بتنسكه، وهذا يضلهم بتهتكه «!

وعن عمر - رضي الله عنه-مرفوعا : (إن أخوف ما أخاف على أمتي: كل منافق عليم اللسان) حديث حسن رواه أحمد والدارقطني، قال الإمام المناوي -رحمه الله- معلقا: (كل منافق عليم اللسان، أي عالم للعلم، منطلق اللسان به، لكنه جاهل القلب والعمل، فاسد العقيدة، مغر للناس بشقاشقه وتفحصه وتقعره في الكلام).

وعن عمر-رضي الله عنه- قال «كنا نتحدث: «إنما يهلك هذه الأمة كل منافق عليم اللسان»، وكان معاذ -رضي الله عنه- يقول في مجالسه: «احذر زلة العالم، وجدال المنافق».

ولهذا كان عمر كثيرا ما يستعيذ بالله من المنافق العليم، وقد سئل: «كيف يكون منافقا وعليما؟، قال: «عالم اللسان، جاهل القلب».

إن اللسان الفصيح في جنان غير الصحيح قد يزين القول حيث الشين، ويشين حيث يجب العدل في الكلام، فيهدم حقا، ويعلي باطلا، ومن أجل هذا وصفوا اللسان بأنه سلاح ذو حدين، وخذ العبرة من هذين المثالين من تراث الأقدمين:

- يُحكى أن الحجاج بن يوسف الثقفي كان له غلامان فصيحا اللسان، أحدهما أبيض اللون، والثاني أسود اللون.

فقال لهما يوما: «ليمدح كلٌ منكما نفسه».

فقال العبد الأسود:

ألم تر أن المسك لا شيء مثله
وأن بياض اللفت حملّ بدرهمِ
وأن سواد العين لا شك نورها
وأن بياض العين لا شيء فاعلمِ

وقال العبد الأبيض:

ألم ترَ أن البدر لا شيء مثله
وأن جميع الفحم يُشرى بدرهمِ
وأن رجال الله بيض وجوههُم
ولا شك أن السود أهل جهنمِ

فتبسم الحجاج ضاحكا من قولهما وأعتقهما.

وقيل إن بعض وجهاء القوم كانوا يحسدون معن بن زائدة على كرمه وحلمه وصبره فدعوا رجلا سليط اللسان، قوي الحجة في الحق والباطل، سريع البديهة، يحسن الخديعة، وقالوا له: «إذا استطعت أن تثير مَعْنا وتخرجه عن طوره فلك مائة من الإبل، فجاء الرجل بجلد بعير، والدماء تقطر منه، والذباب يحوم حول الجلد، ووضعه على جسمه كالعباءة، ودخل إلى المجلس الذي يجلس فيه معن، وجلس بقربه، وحاول الجند أن يمنعوه من ذلك، ويخرجوه، فقال لهم: «دعوه وشأنه لنرى ما يريد، فقال الأعرابي:

أتذكر إذ لحفاك جلد شاة
وإذ نعلاك من جلد البعير

فقال له معن: «نعم أذكر ذلك، ولا أنساه يا أخ العرب».

فقال الأعرابي:

فسبحان الذي أعطاك مُلكا
وعلمك القعود على السرير

فقال له معن: «سبحانه لا إله إلا هو».

فقال الأعرابي:

فجد لي يا بن ناقصة بشيء
فإني قد عزمتُ على المسير

فقال معن لحاجبه:

«أعطه ألف دينار فأعطاه ألفا».

فقال الأعرابي:

قليل ما مننت به وإني
لأطمع منك بالشيء الكثير

فقال معن لحاجبه: «أعطه ألفا ثانية»، فأعطاه إياها.

فقال الأعرابي:

فثلّث إذ ملكت الملك عفوا
بلا عز ولا جاه خطير

فقال معن لحاجبه: «أعطه ألفا ثالثة»، فأعطاه، فاستحى الأعرابي وقال:

فأنت البحر ليس له كفاء
ومن جدواه كالبحر الكبير

ورحم الله الإمام علي-رضي الله عنه- حين قال ناصحا: «طلبة هذا العلم على ثلاثة أصناف، ألا فاعرفوهم بصفاتهم وأعيانهم:

- صنف منهم يتعلمون للمِراء والجدل.
- وصنف منهم يتعلمون للاستطالة والختل.
- وصنف منهم يتعلمون للفقه والعمل.

فأما صاحب المِراء والجدل فتراه مؤذيا ماريا للرجال، في أندية المقال، قد تسربل بالتخشع، وتخلى من الورع، فدقَّ الله من هذا حيزومه، وقطع منه خيشومه. وأما صاحب الاستطالة والختل فإنه يستطيل على أشباهه من أشكاله، ويتواضع للأغنياء من دونهم، فهو لحلوائهم هاضم، ولدينه حاطم، فأعمى الله من هذا بصره، وقطع من آثار العلماء أثره. وأما صاحب الفقه والعمل تراه ذا كآبة وحزن، قد قام الليل في حندسه (ظلمته)، وقد انحنى في برنسه، يعمل ويخشى، خائفا وجلا من كل أحد إلا من كل ثقة من إخوانه، فشد الله من هذا أركانه، وأعطاه يوم القيامة أمانه».

فانظر أيها السائر في ركب الدعوة من أي الأصناف أنت؟.

ملتقى وطني حول التنصير في الجزائر

بعد ثلاثة أيام كاملة من المحاضرات والعروض والمناقشات أسدل الستار على أعمال الملتقى الوطني الأول حول التنصير في الجزائر بين الحقيقية التاريخية والرهانات المستقبلية الذي احتضنت فعالياته المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة أيام 6،5 و7 ماي 2014 الذي أشرف عليه الدكتور مزيان سعيدي.

ركزت مداخلات اليوم الأول على الجانب التاريخي للتنصير في الجزائر الذي عرف بداياته مباشرة بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر من خلال مجموعة المبشرين الذين جاؤوا مع الحملة الفرنسية، ثم تزايد العدد شيئا فشيئا مع مجيء الكولون وافتتاح أسقفية الجزائر العاصمة سنة 1838 واستقدام طائفة اليسوعيين، وكانت المجاعة التي ضربت الجزائر سنتي 1866 و1867 بمثابة الفرصة الذهبية للمنصرين بقيادة الكاردينال لافيجري الذي قام باستغلال الظروف المأساوية للجزائريين لمحاولة تحويلهم للنصرانية عن طريق استغلال الأعمال الخيرية مثل دور الأيتام والمستشفيات، وتقديم المعونات الغذائية، وكللت هذه العملية بتأسيس الجمعيات التنصيرية التي انتشرت كالطاعون في مختلف ربوع الوطن من بلاد القبائل شمالا إلى أقاصي الصحراء جنوبا، ومن عنابة شرقا إلى وهران غربا، بحجة نشر التعليم وتقديم العلاج.

في حين ركزت أعمال اليوم الثاني على إظهار مقاومة الجزائريين للتنصير والمنصرين والأساليب التي انتهجوها للحفاظ على ثوابتهم الدينية والوطنية في ظل الغزو الديني الصليبي، والدور المحوري الذي قامت به الزوايا السوية والشيوخ والعلماء والمصلحين من خلال قيامهم بتوعية الناس، وفضح مخططات المنصرين عبر المقالات الصحفية والخطب المنبرية والمنشورات

والكتب، وهي الأمور التي ساهمت في الحفاظ على الوحدة الروحية والدينية للجزائريين.

واختتمت أشغال الملتقى بعدة توصيات منها: تجديد الخطاب الديني في الجزائر وتبصير الجزائريين بحقيقة التنصير وخطورته.حث السلطات الجزائرية على تأسيس مرصد وطني لمحاربة التنصير في الجزائر.

أ. بوطقوقة مبروك

كلمة حق

أ.د. عمار طالبي

هل يخرج حزب جبهة التحرير من أزمته؟

يعزّ علينا حقاً أن تصبح جبهة التحرير باسمها التاريخي الشامخ الذي حرر الوطن باسمه، وقامت بثورة تاريخية عظيمة، لم يدرك النّاس في وطننا عظمتها، ولا المؤرخون قارنوها بالثورات العالمية الكبرى التي غيرت وجه التاريخ، يعزّ علينا أن تتوالى عليها الأزمات واحدة بعد أخرى، منذ وقع الانقلاب على المجاهد الكبير، عبد الحميد مهري رحمه الله، وأسبغ عليه رضوانه في مثواه.

نعم كلّ حركة سياسية ثورية قد تتعرض لأزمات، وشدائد، واختلاف في الرؤى، ولكن أن تصل إلى هذا المستوى، فهذا أمر ما كنا نتوقعه ولا نتخيله.

يمكن القول بأنّه آن الأوان لأن يغير حزب جبهة التحرير منهجه وإستراتيجيته السياسية والثقافية والاقتصادية بطريقة علمية على أساس التغيرات العالمية اليوم، وقبل ذلك تدعو الضرورة إلى دراسة تقويمية لشؤونها وتطورها.

وتنتهي بميثاق جديد قائم على الشورى والمعطيات الجديدة في البلاد وخارجها، للخروج من هذا الانسداد والفراغ السياسي الذي تعاني منه الأحزاب الأخرى أيضاً.

وهذه إشارة وتنبيه كما يقول شيخنا ابن سينا من مناضل قديم في هذه الجبهة منذ نشأتها 1954. ولم انصرف عن النشاط فيها وفي مؤتمراتها إلا بعد الثمانينيات لأسباب إدارية وهجرة إلى الخارج في العشرية الحالكة الدموية المشؤومة.

إنّ جبهة التحرير -ولا أحب أن أسميها حزباً- كانت لها مشاكلها أيضا أثناء الثورة وأثناء الاستقلال، واخترقتها بعد الاستقلال خاصة إيديولوجيات ماركسية ويسارية، وأرادت أن تنحرف بها عن وجهتها العربية الإسلامية، كما سطرها نداء نوفمبر الذي شارك في صياغته الشهيد العظيم مصطفى بن بولعيد الذي كان ينشط في جمعية العلماء في باريس أيضاً، والعربي بن مهيدي أحد طلابها فقد كان أمامهما ما بثه شيخنا الأكبر ومعلمنا المصلح ابن باديس من وعي عميق بمقومات الأمة، ودفاعه، المستميت عن دينها ولغتها وتاريخها، وثقافتها، ووطنها.

واختارت هذه الثورة لجنودها اسم: المجاهدين وغلب هذا الاسم عناوين أخرى كانت متداولة قبل الثورة مثل المناضل، والرفيق وما إلى ذلك.

لا يجوز أن يغيب عنا هذا التراث الثوري التاريخي الأسمى، ولا أسسه ومصادره ورجاله وآمالهم، لا يجوز أن يخيب ظنّ هؤلاء المجاهدين في عالم الأرواح، ولا أن نسيء إلى ثورتهم ومبادئهم، ولا أن تنسى وتذهب سدى.

إنّنا لنأسف ونحزن أشد الحزن والأسى إذا ضربت الجبهة من داخلها، وأصيبت في أوصالها وتقطعت أسبابها وسبلها إلى سبل وطرائق لا تزيدها إلا هزالاً ووهناً.

غاية الجبهة هي مصالح الأمة في اقتصادها وثرواتها، في الحفاظ على هذه الثروة فلا تنهب، ولا يذهب بها الأجانب، ولا أن ترحل إلى الأوطان الأخرى الأجنبية.

ويحرم منها شبابنا، الذي أصابته العطالة والبطالة واليأس، فأخذ ينتحر في البحار، في الليل والنّهار، بحثاً عن الكرامة، والضروري من العيش والحياة.

فهل فكرت الجبهة في تأسيس مراكز للبحث في شؤون الأمة، ووضع استراتيجيات ثقافية تربوية، وتكوين الخبراء، واستشراف المستقبل؟ هذا التفكير العلمي هو الذي يتيح لها أن تتهيأ لإدارة شؤون الأمة؟ وتنمية مواردها البشرية والمادية، وتنهض بهذه الشؤون، هذه هي السياسة، ولا تنقصنا الإمكانات البشرية ولا المادية، وإنّما الذي ينقصنا حقاً وأوقعنا في فقر مدقع هو مناهج التسيير، والإدارة العلمية لشؤون الأمة إدارة مثمرة لا عوج فيها ولا انحراف، إلى الآن لم نبن قاعدة صناعية سليمة، ولم نضع قاعدة علمية لاقتصادنا، ولا لثقافتنا، يكون لها أثرها الفعال للخروج من هذا التخلف الذي أخذ يتعمق، فإذا لم تقم بهذا كله في هذه البحبوحة المالية، فمتى تحقق النّمو وتقضي على التخلف؟ هذه تنبيهات مخلصات لعلّها تجد آذاناً صاغية وما التوفيق إلا من الله العزيز الحكيم.